صابرين

« روايـــه »

سمر إبراهيم

صابرين

" روايـــه "

اسم الكاتب: سمر إبراهيم
تدقيق لغوي: محمد ربيع
تصميم الغلاف: عبير محمد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة الأولى: ٢٠١٧ م
رقم الإيداع: /٢٠١٧
الترقيم الدوليّ: 0 – 0 - 6582 - 977 - 978

المكتبة العربية
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر
وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية،
أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذنٍ كتابيٍّ من الناشر؛
يُعَرِّضُ فاعله للمساءلة القانونية.

الحُبُّ كاللعنة

لا تتركُك إلا وقد فارقتَ عالمك لتصبح في عالمٍ آخرَ،

عالمٍ لا يدخله أحدٌ سوى حبيبك،

لتصبحَ كالسجين الذي لا أملَ بتحريرِه،

فتحيط بك سلاسلُ من المشاعر...

سلاسلُ قد صنعتها أنت

ولكنَّك لا تستطيع أن تحطمها بنفسك فهي مصنوعة منك..

لو تحطَّمت ... لتحطَّمتَ أنت معها أيضًا!

د. سمر إبراهيم

* * *

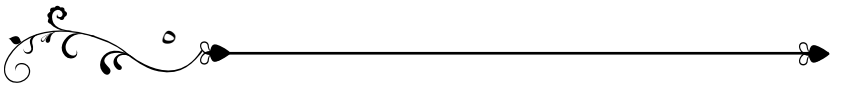

(البداية)

(عيد ميلاد) "صابرين" اليوم، فقد أتمت عامها (العشرين)، وقد غدت الساعة (الثانية عشرة ظهرًا) وهى لا تزال في المطبخ تقوم بتجهيز الغداء محاوِلةً أن تساعد والدتها.

- "(ماما)، أنا حَرقت الرز!".

- "حرام عليكي يا "صابرين" دي (خامس مرة) تحرقيه الأسبوع دة، أبوكي هيجيله صدمة من اللي بتعمليه فيه كل مرة تدخلي فيها المطبخ!".

- "طب أعمل ايه يا (ماما)، منا بتعلم اهو!".

- "أيْوه إتعلمي فينا طبعًا، مهو علشان إنتي البنت الوحيدة؛ سِبْتِكْ كلّ دا ومدخلتكيش المطبخ، وكل البنات اللي فِالبلد بيعرفوا يطبخوا إلا إنتي!"..

- "خلاص يا (ماما)! والله عرفت، بلاش تِقَطَّمي فيّا بقا، كلّ يوم نفس السيناريو!!، إرحميني يا أمّي دا إنَّهارْدَه (عيد ميلادي) ومش عارفة (بابا) هيجيبلى إيه معاه هدية، تفتكري هو ممكن يكون جايبلي ساعة ولا موبايل جديد؟؟ إيه ده يا (ماما)، (بابا) إتأخّر إنَّهارْدَه أوي!".

- "أكيد بعد ما خلّص الشغل راح يشوف الأرض".

"صابرين" تعيش في قريةٍ صغيرةٍ، ولٰكِنَّها من عائلةٍ غنيّةٍ إلى حد ما، وهي الإبنة الوحيدة لوالديها. وبعد أن إنتهت "صابرين" ووالدتها من تحضير الغداء سمعا صوت الباب وهو يفتح قبل أن يدخل والدها للمنزل، لتهتف متخذة زمام المبادرة:

- "إيه التأخير دا يا (بابا)! كل ده بتدوّر على (هدية عيد ميلادي)؟ يا (بابا) يا حبيبى أنا (مش طمّاعة) هي ساعة وموبايل وخلاص، يعنى حاجة بسيطة خالص!"..

يضحك والدها قائلًا:

- "ياحبيبتي! أنا كنت فاكر أن عيد ميلادك بُكرة؛ عشان كده مجبتش حاجة!! عموما بعد الغدا إنزلي أنتِ و(ماما) اشتري كل اللي نفسك فيه، هو أنا عندي كام "صابرين" يعني، المهم أمك توافق تنزل معاكي ومتقولكيش تعبانة!" .

- "بتقول حاجة يا"مصطفى؟".

- "لا يا حبيبتي، بتّفق مع "صابرين" عليكي بس..ها عملتوا الغدا ولا إيه؟".

- "طبعًا عملناه وأنا اللي عملت الرُزّ النهارده يا (بابا)".

- "رُزّ تاني يا "صابرين" حرام عليكي، أنا لو مزعّلِك في حاجة قوليلي، بس بلاش التعذيب اليومي ده!".

- "حرام عليك بقا يا (بابا)، وبعدين إِنَّهارْدَه أنا مش حارقة الرز أوي، ده إِنَّهارْدَه بالذات هتاكل صوابعك وراه".
- "أمرنا لله يلّا حطّوا الغدا!".

وبعد أن إجتمعت الأسرة إتَّخذت "صابرين" زمام المبادرة كالمعتاد:

- "ها يا (بابا) إيه رأيك في الرز؟"..

- "لا..لا..لا، إحنا كنا فين وبقينا فين! أنا شايف كام رُزَّاية بيض لسّه متحرقوش؛ لا برافو يا "صابرين"!.

ثم بدأ بالضحك هو وأمها "نادية"، لترد "صابرين":

- "أيوه، اتريقوا اتريقوا!"..

- "إنتي إمتى رايحة الجامعة يا بنتي؟".

- "بكرة -إن شاء الله- يا(بابا)".

"صابرين" في (السنة التانية) وجامعتها في (القاهرة)، وبما أن القاهرة بعيدة عن القرية التي يعيشون فيها؛ فهي مضطرة أن تسافر إلى القاهرة وتمكث في المدينة الجامعية ولا تعود إلا بعد انتهاء الترم كاملًا، مما اضطرّ والديها لزيارتها كل حين.

- "خلاص أنا ومامتك هنروح معاكي القاهرة علشان عندي شغل ولازم أخلّصه".

- "بجد يا(بابا)؟".

- "أه يا حبيبة (بابا)، وكمان نشتريلك كل اللي نفسك فيه، و(هدية عيد ميلادك) يا ستّي ولا تزعلي!".

- "أه صحيح يا "صابرين" بتشوفي "فارس" إبن عمك؟".

"فارس" إبن عم "صابرين"، شاب وسيم للغاية ببشرته البيضاء وعينيه العسليتين وجسده الرياضي، لكنه مغرورٌ إلى درجة لا توصف، يُضافُ إلى ذلك أن والدَه يمتلك الكثيرَ من الأموال والأملاك.

لقد كان حُبّ "صابرين" الأول!! وما زال هو حبها الأول والوحيد، ولكنْ لأنّ غروره -الذي قد يصل إلى عنان السماء- أعماه تمامًا عن مبادلتها ذلك الشعور، فلم ينظر إليها قطٌّ..هي بالنسبة له مجرد فتاة سمراء قروِيّة، وليست على مستوى من يعرفهنّ من فتيات القاهرة المتمدّنات في نظره!

رَدَّتْ "صابرين" مجيبةً والدها بتوتر:

- "ممم ..مش عارفة يا (بابا) مشفتوش من فترة طويلة".

- "إزّايْ دا انتوا مع بعض في نفس الجامعة، وكمان في نفس الكلية؛ إزّايْ مشفتهوش؟؟

- يا(بابا) الجامعة كبيرة أوي يعني مفيهاش حاجة لما منشوفش بعض".

- "شفت إِنَّهارْدَه عمّك "صفوت" والد "فارس" وقعدنا نتكلّم شوية، أه صح مقولتلكيش: مش "فارس" ناوي يتجوّز!".

جحظت عينا "صابرين" وهي تُرَدِّد في بلاهة:

- "يتجوز؟!".

أجاب والدها "مصطفى" بابتسامة دون أن يلحظ نبرات صوت ابنته:

- "آه...إِنَّهارْدَه بتكلم مع "صفوت" وقاللي أن "فارس" عايز يخطب واحدة معاه في الجامعة".

بدأتْ الأمُّ "نادية" المشاركةَ في الحوار، وهي تقول بفرح:

- "بجد! معقول "فارس" كبر وخلاص هيتجوز؟!".

توقفت "صابرين" عن الأكل، وقد ظهرت عليها ملامح الضيق، حتى أن والدها لاحظ تلك النظرة على قسمات وجهها ليتساءل باستغراب:

- "مالك يا "صابرين"؟!".

حاولت "صابرين" أن تخفي الحزنَ الظاهر على وجهها مجيبة:

- "مفيش يا(بابا)..المهم بقا أنا هدخل أجهّز الشنطة بتاعتي.

- "خلاص يا حبيبتي ادخلي"..

دخلت إلى غرفتها وأغلقت الباب خلفها، بدأت الدموعُ تتساقط من عينيها كشلالٍ في منحدر أبديٍّ، كم يؤلمها قلبُها الصغير في تلك اللحظات! فهو لم يعرف سوى "فارس" من قبل، لقد كان هو كل حياتها، (عشرون عامًا) مضت من عمرها لم ترَى فيهم سوى "فارس".

مسحت دموعَها التي تتساقط كالمطر، قبل أن تهمس محدثة نفسها:

- " إنتي فاكرة أنه كان هيبصلك؟!".

تحركت ببطءٍ حَتَّى وقفت أمام المرآة قبل أن تكمل:

- "بُصِّيْ لنفسك كويس أنتي فلاحة ومش عالموضة، ولا بتحطي أبيض ولا أحمر في وشك، تبقى هَبْلَة لو فاكرة أن "فارس" كان هيبصلك! لو إفتكرتي كدة يبقي بتحلمي..إنسى يا (ماما)!...

إرتمت على السرير وهي لا ترغب في شيء سوى النوم، تتمنى أن يكون كل ذلك مجرد كابوس، سينتهي بمجرد إستيقاظها من النوم..لم تعرف مقدار غفوتها حينما جاء صوت والدتها لينتزعها من قلب النوم:

- "صابرين" قومي بقا!".

نهضت وهي شبه نائمةٍ ليأتي صوتها مهتزًا:

- "ماشي ماشي".

- "قومي يا بنتي، إحنا هنسافر القاهرة بعد ساعة إخلصي".

انتزعتها كلمات الأم لتصرخ في فزعٍ:

- "بتقولي إيه؟؟ بعد ساعة؟!".

- "أمال إيه ياختي حاولت أصحِّيكي بس ولا حياة لمن تنادي!".

بسرعةٍ تشبه البرق إرتدت "صابرين" ملابسها وشرعت في تمشيط شعرها الأسود الطويل، وبعد أقل من نصف ساعة خرج الجميع من المنزل قبل أن يستقلوا السيارة في طريقهم نحو القاهرة.

في بيتٍ كبير قد تظن أنه قصر للوهلة الأولي لفرط ضخامته..استيقظ "صفوت" هو وعائلته وهم يجلسون على الطاولة لتناول الإفطاروتساءل:

- "أُومال "فارس" فِين يا "هانم"؟".

- "أنا صحِّيته وكان بيغسل وشه".

لحظات معدودة قبل أن يظهر"فارس" وهو يهتف:

- "صباح الخير!!".

- "أُقعد يا "فارس" !.

- "أُومال فين "سلوى"؟".

"هانم": "ما أنت عارف أختك مبتصحاش بدري".

"صفوت": هتروح الجامعة إمتى يا "فارس"؟

- "-إن شاء الله- الأسبوع الجاي يا(بابا)" .

- "ليه يابني دي "صابرين" المفروض أنها راحت إِنَّهارْدَه إنتوا مش مع بعض في نفس الكلية؟".

"فارس" بإستغراب: "صابرين"؟!

- "يابني "صابرين" بنت عمك.

رد "فارس" في لا مبالاة :

- "آه مش عارف يا (بابا) أكيد عندها حاجة هتعملها قبل الدراسة ما تبتدي".

في الطريق تتعطّل سيارة "مصطفى" والد "صابرين" ويبحث عن ميكانيكي ولكنّ الليل أسود حالك على الطريق، لم يجدوا مَفَرًّا من البقاء داخل السيارة حتى الصباح، وفى هذه الأثناء غَطَّتْ "صابرين" في النوم هي ووالدتها، ليترجّلَ الأب "مصطفى" خارج السيارة ليتفحّص الطريق، تقف أمامه سيارة تعرضُ المساعدة في خُبْثٍ ودهاءٍ ليُفاجأ بأن بها (ثلاثة أشخاص) ترجّلوا من السيارة وفي هدوءٍ تامٍّ صَوَّبوا في وجهه (مسدس)، وطالبوه برفع يديه لأعلى قبل أن يقوم أحدهم بتفتيشه والاستيلاء على كل متعلقاته من موبايل وأموال كان سيدفعها لشراء (جَرَّار جديدٍ) لحرث الارض.

في هذه الأثناء إستيقظت "صابرين" لتفاجأ بالمنظر وتشاهد الخوف على وجه أبيها فَصَمَتَتْ مضطرةً خوفًا على والديها، "مصطفى" بدوره لم يحاول إبداء المقاومة خوفًا على إبنته وزوجتِه من أن يصيبهما مكروه.

بعد أن استولى اللصوص من "مصطفى" على كل ما معه؛ ركبوا سيارتهم وفرّوا هاربين، لتقوم "صابرين" بإيقاظ والدتها التي رأت زوجها وهو يتمتم:

- "لله الامر من قبلُ ومن بعد"..

ظَلَّ يُرَدِّدُها مرَّاتٍ عديدة قبل أن يسقط على وجهه مغشياً عليه لتصرخ "صابرين" بأعلى صوتها: - "(بابا) (بابا) أرجوك إصحى فوق يا(بابا)!".

أمُّها أيضًا، حاولت إفاقته ولكن دون جدوى، لتتصل "صابرين" بالإسعاف من جهازها المحمولِ الذي لم ينتبهْ له اللصوص، لتحضر الإسعاف بعد قليلٍ بينما حاول الطبيب المسعف إنقاذ الرجل بحملِه برفقة مساعديه ووضعِه في سيارة الإسعاف التي طوت الطريق نحو المستشفى.

وهناك خَضَعَ للأشِعَّة والتحاليل الضرورية ليتضح أنه أُصيب بجلطة شديدة بالقلب. بينما "صابرين" ووالدتُها لم يعلموا عن ذلك الأمر شيئًا، ماذا حدث ولا كيف حدث؟ غير أن "صابرين" رَأَتْ نهاية المشهد فقط، ولا تعلم ما سبقه، كل ما كان يتم تداوله بالحديث ردًّا على سؤالهم بأنه بحالة طيبة.

إلى أن طلبت إدارة المستشفى مبلغًا من المال تحت الحساب فطلبت والدة "صابرين" ملابِسَهُ التي كانت بها النقود قبل أن يدخل الرعاية المركزة، لتحضرها الممرضات على الفور، لتبحث الأم بالمحفظة فلم تجدها ولم تجد الموبايل أيضًا، وهنا قالت لها الممرضة: أنه لم يكن معه أي شيءٍ عندما أتوا به حتى يسلموها في أمانات المستشفى، حتى ساعة يده لم يكن لها أي أثر،

فعلمت الأم بما حدث من كلمات "صابرين" وربطت ما رَوَتْهُ ابنتها عن المشهد الذي رأته، وهنا تذكّرت تمتمة "مصطفى".

أدركت أنهم تَعَرَّضوا لسرقةٍ بالطريق عندما أدركها النوم، ولٰكِنَّها إعتقدت أن "مصطفى" أيضًا أدركه النعاس فتمّ سرقته على حين غرة، وهنا لم يبق لأم "صابرين" من وسيلة لإنقاذ الموقف سوى الاتصال بـ "صفوت" الأخ الأكبر لـ"مصطفى" فهو الوحيد الذى سيتصرف في مصاريف المستشفى، فهمّت بالاتصال به.

يَرِنُّ هاتف "صفوت" ليرد: - "أيوه أنا "صفوت المراغى"، إيه بتقولي إيه؟ طيب أنا جاي حالًا!".

تسأله "هانم" زوجتُه:

- "ما لك يا"صفوت" خير-إن شاء الله-؟!".

ليجيب بفزعٍ: "مصطفى" أخويا وعيلته، كانوا رايحين على القاهرة وتقريبًا إتعرضوا لحادثة وهما دلوقتي في المستشفى!".

- "طب إيه حالتهم يعني؟ يارب سلِّم واسترها يا رب!".

- "بقولك إيه يا "هانم" بلاش كتر الأسئلة دي أنا هغيّر هدومي وأنزل لهم حالًا".

- "طب إستنى أنا هاجي معاك، لازم أبقى جنبهم في وقت زي ده دا إحنا عيلة واحدة".

- "لا..لا، خلّيكي إنتي هنا، ولو الأمر إستدعى وجودك هكلمك وتيجي على طول".

هرع "صفوت" إلى المستشفى على الفور، وعَقِبَ وصوله، قابل الطبيب المسؤول عن حالة أخيه!

"صفوت" بلهفةٍ:

- "ها يادكتور أخبار"مصطفى المراغي" وعيلته إيه؟".

- "حضرتك مين؟".

- "أنا أخوه يا دكتور".

- "أنا آسف بس الأستاذ "مصطفى" حالته خطيرة جدا، واضح أنه إتعَرّض لضغط عصبي شِديد، وصدمة رفعتْ مُعَدَّل ضغطه، فتسببت له في (جلطة شديدة في القلب)، وللأسف أَثَّرت على الرئة، عمومًا هو تحت الملاحظة في (الرعاية المركزة)، وبياخد المحاليل اللازمة وبيتم متابعة حالته على الأجهزة، و-إن شاء الله- لو مرت الأربعة وعشرين ساعة اللي جاية بأمان وقتها نقدر نقول إن الأزمة مرّتْ بسلام".

لم يصدّق"صفوت" ما سمعه من الطبيب، ظلّ يدعو (الله) بالشفاء لأخيه وقلبُه يكاد ينفطر، ثم سأل عن "صابرين" ووالدتها فطمأنه الطبيب بأنهما بخير حالٍ ويجلسان بالخارج. فإستأذن "صفوت" من الطبيب وذهب ليطمئن عليهما ويعرف كيف حدث ذلك.

عندما لمحته "صابرين" هرعت إليه وارتمت بأحضانه وأخذت تجهش بالبكاء:

- "شوفت ياعمي اللي حصل ل(بابا)؟!".

- "إهدي يا بنتي واحكيلي بالتفصيل ايه اللي حصل لكم!".

قَصَّتْ "صابرين" ماحدث بالتفصيل، و "صفوت" ينصت باهتمامٍ إلى روايتها للأحداث ليوقن بالنهاية إنّهم تعرضوا لحادث سرقة، ولخوف "مصطفى" على إبنته وزوجته؛ استسلم للصوص ولم يُبْدِ إعتراضًا أو مقاومة تذكر، مما أثرعلى أعصابه فحدثت الجلطة.

ثم قال "صفوت":

- "قدّرَالله وما شاء فعل، المهم دلوقتي صحته ويقوم بألف سلامة ومش مهم الفلوس، فداءٌ لسلامتكم، ربنا يطمّنا عليه يا ربّ!".

لحظات مَضَتْ ثقيلة قبل أن ينتبه الجميع على صوت الممرضة التي تركض وصوتُها يسبقها وهي تهتف:

"تعالوا بسرعة المريض فاق ويطلب رؤيتكم".

وبسرعة تهرع "صابرين" تتبعها والدتها بخطى سريعة ومن الخلف العم "صفوت"، وفي لمح البصر كانوا جميعا أمام سرير "مصطفى".

"صابرين": "حمد الله عالسلامة يا(بابا)..خضتني عليك يا حبيبي، أنا مَقْدَرْشِ أعيش من غيرك يا(بابا) أرجوك قوم بقى"..

"صفوت" - "إهدي يا بنتي (بابا) -إن شاء الله- كويّس، ومفيهوش حاجة ولّا إيه يا"مصطفى"؟".

"مصطفى" ينظر إليهم بتهاللٍ ونظرات عينيه تجول بين الوجوه ولا يستطيع النطق إلا بصعوبة بالغة، قبل أن يستجمع طاقته كلَّها ليطلب من أخيه أن يدنو منه! فَيُلَبِّي "صفوت" طلب الأخ، ليفاجأ به يوصيه على ابنته "صابرين" وزوجته وأن يرعاهما بعد وفاته!

تزرف الدموع من عيني "صفوت" وهو يستنكر تلك الكلمات من أخيه والجميع يجهش بالبكاء وتنهار "صابرين" لكلمات والدها، ليعود بعد كلماته للسقوط بغيبوبتة تارةً أخرى؛ فيسرع "صفوت" لإحضار بالطبيب، الذي أجرى كشفًا سريعًا على الرجل قبل أن يخبرهم أن قضاء الله نفذ وأن يطلبوا له الرحمة والمغفرة!

تنهار "نادية" وقدماها تعجز عن حملها، في حين صرخت "صابرين" وهي تنشب أضافرها بسرير الأب ودموعها تسيل كالشلال بمنحدر أبديٍّ، و يدي "صفوت" تجذبهم نحوه محاولًا السيطرة على الوضع المتفجّر وكلماته تخرج مرتعشة: "البقاء لله اطلبوا له الرحمة"، ثم فجأة تفقد الأم "نادية" توازنَها وتتمدَّدُ على الأرض، لتسرع الممرضات بصحبة الطبيب ويهرعون لحملِها والذهاب بها إلى غُرْفَةٍ جانبيّةٍ، ويبذل الطبيب جهدَه في محاولةٍ لإيقاف تدهورِها الحادّ مستخدمًا التنفس الصناعي والصدمات

الكهربية، ولكن ورقة الحياة سقطت بعد ذبولها على حين غرة، لترحل وراء زوجها ورفيق دربها بدقائق، وكأنها أقسمتْ ألّا تتنسم هواء الدنيا من بعده.

إحتار الطبيب كيف يبلغ "صابرين" بالخبر؟ وكيف ستحتمل تلك المسكينة مأساتها في والدتها هي الأخرى؟ وجسد والدها لم يزل مُسَجَّى منذ دقائق؟ كيف يقول لها أن والدتها توفاها الله هى الأخرى وأن أبويها سيدفنان معًا في آنٍ واحد، لم يَجِدْ الرجل لديه ما يكفي من القوة لمواجهتها بذلك الخبر، فَقَرَّرَ أن يخبر عَمَّها بالأمر، وعليه هو إبلاغها بالطريقة التى يراها ملائمة.

في هذه الأثناء تنظر "صابرين" للطبيب الذي انتحى بعمها جانبًا، وتراهما من بعيدٍ يتجاذبان أطراف الحديث، ووجه عَمِّها يكسوه العبوس وكأنَّ مصيبةً أخرى حَدَثَتْ؛ اختلج قلبها بشدّة للمشهد فَحَثَّها إحساسها الى الدخول على والدتها بسرعةٍ لتطمئنَّ عليها، لتجدها مُغَطَّاةً بالملاءة حتى الرأس، صرخت صرخةً مُدَوّيةً أسمعت بها كلَّ من المستشفى لتسقط على جسد والدتها منهارةً:

- "لا يا(ماما) متسبنيش إنتي كمان، حرام عليكوا تسيبونى في الدنيا دي لوحدي أرجوكم خدوني معاكوا أنا مليش حد غيركم في الدنيا دي.

وهنا يأخذها عمها في أحضانه ويبكي:

- "لا يا بنتي متقوليش كده وأنا روحت فين، إنتي بنتي وبنت الغاليين ومش ممكن أتخلى عنك أبدًا يا غالية يا بنت الغاليين!".

وهنا تفقد "صابرين" وَعْيَها ليبادر الطبيب بحقنها بمادة مُهَدِّئةٍ تسقط على إثرها في سبات عميق.

يستند "صفوت" على الحائط من هول ما حدث ويتصل بإبنه "فارس" ويحكي له ما حدث لعمه وعائلته؛ فيأتى "فارس" بسرعة البرق لوالده في المستشفى حتى يكون بجواره في تلك اللحظات المؤلمة، محاولًا التخفيف عنه في وقعِ هذه المأساة التي حَطَّتْ على رؤوسهم دون سابق إنذار.

شَعُرَ "صفوت" بيد "فارس" تُرَبِّتُ على كتفه ليستدير نحوه ويأخذه في أحضانه ويبكي كالطفل الصغير بين يدي "فارس" كما لم يبكِ منذ سنوات! .

- "هنعمل إيه دلوقتي يا(بابا)؟".

- "والله يابني ما أنا عارف نبدأ منين؟ بس اللي المفروض يتعمل دلوقتي أننا ننتهي من إجراءات المستشفى و نجهّز لمراسم الدفن والعزاء وفي نفس الوقت لا بد من الإطمئنان على "صابرين"!.

- "طيب يا(بابا) حضرتك روح البيت أرتاح وأنا هفضل هنا مع "صابرين" والصبح هخلّص الإجراءات الخاصة بالمستشفى".

- "لا يابنى أنا اللى هستنى مع "صابرين" ميصحش تفوق متليقنيش جنبها، كفاية اللي هي بقت فيه، في (لمح البصر) أصبحت (يتيمة الأب والأم)، أنا مش عارف هتقدر تتحمل فراقهم إزّايْ دي لسة صغيرة على الهم ده! رُوْح أنت يا "فارس" علشان والدتك و"سلوى" أختك، وجهزوا أوضة

ل"صابرين" لأنها خلاص هتعيش معانا؛ مبقلهاش حد غيرنا يابني، وتعالالي الصبح بدري عشان نخلص اللي ورانا".

- "بس يا(بابا).....".

- "مفيش بس أنا هفضل معاها وأنت روح إعمل زي ما قلتلك".

ذهب "فارس" للمنزل، بينما توجّه "صفوت" إلى غرفة "صابرين" ولم يستطعْ تحمل منظرِها المُرِيع الذي آبت إليه، ها هي ترقد على سريرها كالنائمة، لاحظ بعضَ الخُدوشِ على وجهها من أثر السقوط مغشيَّةً عليها لحظة فقدانها أمها!

إقتربَ "صفوت" منها وجلس على الكرسي المقابل لها وأمسك براحة يدها والدموع تتساقط من عينيه.

- "هتعملي إيه يا "صابرين"، هتعملي إيه يا حبيبتي؟ بس متخافيش أنا هنا معاكي وهعمل أي حاجة علشان متبقيش لوحدك".

إنطلق "فارس" بسيارته إلى بيته لتقابله "هانم" أمه، والقلق يعصف بروحها:

- "ها حصل ايه؟".

جلس "فارس" على الكرسي ووضع يده على رأسه ثم رفع رأسه لينظر لوالدته في حزن!!

- "عمو "مصطفى" وطنط "نادية" الله يرحمهم!".

وضعت "هانم" يدها على فمها، وقد تجمدتْ ملامحها وشحبت كمن أصابته صعقةٌ مفاجئةٌ، وهي تُتَمْتِم:

- "ماتوا؟ طب و "صابرين"؟".
- "لا.."صابرين" الحمد لله كويسة، (بابا) قاعد معاها لغاية لما تفوق من الصدمة وهيجيها ويجي على البيت".
- "الحمد لله!".

في الصباح التالي "صفوت" ما زال جالسًا على نفس الكرسي في غرفة "صابرين" بالمستشفى ويغلب عليه النعاس ولكنه يحاول أن يتماسك رغمًا عنه، بينما بدأت "صابرين" في تحريك يدها ثم بدأت في فتح عينيها ببطءٍ، وهي تنظر في أركان الغرفة فلم تجد سوى عمها "صفوت".

- "فين (بابا) و (ماما)؟؟".

سؤالها المصدوم كان أول ما نطقت به "صابرين"، لتبدأ دموع "صفوت" بالهطول مرةً أخرى، وهو يمسحُها بسرعةٍ حَتَّى لا تلاحظ تلك المسكينةُ شيئًا، ولٰكِنَّها سرعان ما أدركت كل شَيْء وتذكرت أنها فقدت والديها في غمضة عين وأن الأمر أصبح واقعا، ولا مناص! وليس مجرد كابوس يمكن الفرار منه!

حاولت أن تنهض ولكنَّ يد العم "صفوت" أمسكت بها لتجلس على السرير مرةً أخرى والدموع تنهمر من عينيها وهي تصرخ:

- "لا يا عمي (بابا) و (ماما) مماتوش، حرام عليكوا أنا معنديش غيرهم!".

احتضنها "صفوت" وهو يلمسُ شعرها براحته محاولًا تهدئتها:

- "هشش، أنا موجود جنبك يا بنتي ومش هخلي حد فالدنيا دي يجرحك ولو بكلمة!".

لَمْ تَكَدْ "هانم" تنتهي من تجهيزِ الغرفة حتى إتصل بها "صفوت" ليخبرها بأنه في الطريق بصحبة "صابرين" بعد أن ينهي إجراءات خروج الجثمانين من المستشفى.

أسرعت "هانم" في تحضير الطعام لاستقبال تلك (اليتيمة) عندما تأتي، أرادت أن تشعرها بأنها والدتها بقدر المستطاع، بينما "سلوى" قد خرجت من غرفتها توًّا، بعد أن قاربت الساعة (تمام الواحدة ظهرا).

- "(ماما) إيه الحركة الغريبة دي اللي في البيت؟".
- "طبعًا، ما أنتي نايمة على ودانك!".
- "فيه إيه يا (ماما) بس؟".
- "عمك وطنط "نادية" إتوفوا إمبارح بالليل و"صابرين" بنت عمك هتيجي تعيش معانا هنا، ما هي مبقاش ليها حد غيرنا".
- "يا حرام! ربنا يرحمهم دي "صابرين" بقت (يتيمة الأم والأب) دِلْوَقْتِي لاحول ولا قوة الا بالله، هي هتيجي إمتى؟".

- "زمانهم على وصول".
- "هي أكيد زعلانة مش كدة؟".
- "أكيد يا بنتي زعلانة إنتي شايفة إيه؟ ربنا يكون في عونها المسكينة".

أسرع "صفوت" إلى الطبيب ليحثة على توقيع قرار الخروج ل"صابرين" من المستشفى وحتى ينهي إجراءات الدفن بهدوء بينما هي تحت رعاية زوجته وابنته في المنزل.

وافق الطبيب على خروجها بعد أن حقنها بمهدئ وأوصى بحصولها على جرعة مماثلة لكي تُعطى لها عند اللزوم وأرشده بالتعليماتِ التي يجبُ أن تنفّذ لو حدث لها مكروه.

إستندت "صابرين" على ذراع عمها "صفوت" وخرجت من المستشفى، لم تعد تحتمل السير من فرط الإجهاد، تماسكت قدر الإمكان وركبت السيارة في الطريق إلى بيت عمها، لم ينتبه "صفوت" لسيارة أخيه القابعة إلى جانب الطريق منذ الأمس حتى انتبه على صرخة "صابرين" التي شقّت قلبه وهي تصرخ: - " (بابا)!".

انتبه "صفوت" على صوت صرختها، ليوقف سيارته إلى جانب الطريق ويهبط متفحِّصًا إياها فوجدها سليمة ليأتي صوته صارخا بصوت عالٍ:

- "إن شاء الله، دَمَّك مش هيروح هَدَريا "مصطفى" ياخويا!".

عاد لسيارته وبدأ القيادة نحو المنزل وهو يغالب دموعه، حتى وصلوا لباب المنزل ليفتح الباب ويدخل بصحبة "صابرين" التي كانت تستند على

ذراعه، في الوقت الذي بادرت فيه "هانم" باستقبال "صابرين" وقامت بإيصالها إلى غرفتها بصحبة "صفوت" وأجلستْها إلى السرير، وهي تَهْمِسُ:

- "إزيك يا "صابرين" يا حبيبتي؟".

التزمت "صابرين" الصمت وهي تنظر في الفراغ.

نظرتْ "هانم" إلى "صفوت" بِقَلَقٍ، لتهتز رأسُه محاولًا طمأنتها:

- "أنا هسيبك يا "صابرين" يا بنتي ترتاحي شويه، ماشي؟".

ثم نظر إلى "هانم" نظرةً ذات مغزى لتبادر بالخروج من غرفة "صابرين"، لم يكد الاثنان يغادران الغرفة وتختلي "صابرين" بنفسها حتى أجهشت بالبكاء تارةً أخرى، وعقلها المشوش يسافر بعيدًا نحو المجهول، فكيف ستعيش بلا والديها في هذا العالم؟!!

"هانم" في قلق:

- "مالها "صابرين" مبتردش يا "صفوت"؟".
- "سيبيها اليومين دول يا "هانم"، اللي حصلها مش قليل".
- "طب هي مش هتاكل؟".
- "حضّري لها الأكل ودخليه أوضتها، وحاولي معاها علشان تاكل".

وفي وسط حديثهما خرجت "سلوى" من غرفتها متسائلة:

- "هي "صابرين" جت ولا لسه؟!".

"سلوى" تبلغ من العمر (سبعة عشر عامًا) و تتصف بالابتسامة الدائمة وخفة الظل، ولكن سؤالها لم يكن في محله تلك المرة.

"هانم" بحزم:

- "سلوى" سيبيها دلوقتي هي فيها إللي مكفيها".

- "ماشي يا (ماما)".

لم يبدُ على "سلوى" فهم ما تعنيه أمّها بعبارتها، فبعد أن ذهب والداها تَسَلَّلَتْ بهدوء ودخلت إلى غرفة "صابرين"، كانت الأخيرة لا زالت تنظر في الفراغ والدموع تنهمر من مآقيها، لتجلس "سلوى" بجانبها وتمسك براحة يدها، ثم بدأت تُرَبِّتُ على رأسها، وصوتها يأتي متلعثما:

- "إنتي زعلانة صح؟".

هزت العبارة قلب "صابرين" لتبكي بحُرْقَةٍ، لتبدأ "سلوى" بالبكاء هي الأخرى بمجرد أن رأت "صابرين" تبكي، ليأتي صوتها متهدجا:

- "خلاص بقا متبكيش أنا آسفة، طب بُصِّي إعتبرى (بابا) و (ماما) (باباكي) و (مامتك) وأنا (أختك) ماشي؟".

دخلت "هانم" في تلك اللحظة وهي تحمل الطعام، لتجد "صابرين" و"سلوى" وقد أخذتهما العَبَرات والنشيج كالأطفال، لتقترب منهما وتحتضن جسديهما بكلتا يديها وهي تهمس:

- "أنا كان عندي بنت واحدة دلوقتي عندي بنتين".

بقيت معهما حَتَّى ذهبتا في نومٍ عميق، لتخرج "هانم" بهدوء فتجد "فارس" ينظر نحوها بقلقٍ متسائلا:

- "في ايه يا(ماما)؟".

قاطعته "هانم": "أُسكت يا"فارس".

أخذته بعيدًا عن غرفة "صابرين" ليأتي صوتها معاتبًا:

- "أنا نيّمت "سلوى" و"صابرين" بالعافية كنت هتصحِّيهم".

- "نَيِّمْتِي؟ (ماما) على فكرة "سلوى" عندها (سبعتاشر سنة) و"صابرين" (عشرين) يعني هما مش أطفال علشان تنيميهم وبعدين "سلوى" لسه صاحيه من النوم لحقت تنام تاني؟".

"هانم" بحزم: "بس يا ولد أُمال فين (باباك)؟".

- "مش عارف أنا مشوفتوش، شكلوا نايم".

لم يستطع "صفوت" مقاومة الكَرَى وهو يزور جفنيه فنام من شدة التعب دون أن يدري، قبل أن يستيقظ فجأةً لينهض مهرولًا متوجهًا نحو المستشفى مرةً أخرى لإنهاء إجراءات الدفن، نادى على "فارس" حتى يصطحبه معه، وفي الطريق، روى ما قَصَّتْهُ عليه "صابرين"، ل"فارس" الذي أشار عليه بالتوجّه فورًا إلى الشرطة قبل أن يحركا السيارة من مكانها، ليرد "صفوت" أنه بعد الانتهاء من مراسم العزاء لابد وأنه سيتوجه إلى الشرطة لاتخاذ ما يلزم محاولًا التوصُّل إلى من تسبَّبَ في تلك الكارثة.

مَرَّتْ الدقائق و الساعات قبل أن ينتهي "صفوت" أخيرًا من إنهاء إجراءات الدفن ومراسم العزاء ليودع أخاه وزوجته إلى مثواهم الأخير.

في اليوم الثاني بعد الانتهاء من العزاء توجه "صفوت" نحو الشرطة للإبلاغ عن حادث السرقة الذي تعرض له أخوه "مصطفى" وعائلته وقص على مسامع الضابط ما سمعه من إبنة أخيه، تم إكمال المحضر قبل أن يطلب الضابط أخذ أقوال "صابرين" بصفتها شاهدة عيان على ما حدث ولكن "صفوت" أخبرَ الضابط بحالتها النفسية السيئة، ليأتي قرار الأخير بإرجاء ذلك قليلًا مراعاةً لظروفها ويأمر بفحص السيارة ومعاينة مكان الحادث، على أن يتم الاستماع لأقوال "صابرين" ريثما تتحسن حالتها الصحية والنفسية.

بعد مرور ثلاثة أشهر

يجلس الجميع على مائدة الطعام في منزل "صفوت" الذي بدأ الحديث كالمعتاد:

- "(الله) الغدا إِنَّهارْدَه حلو أوي تسلم إيدك يا "هانم"!".
- "على فكرة يا(بابا) أنا و"صابرين" ساعدنا (ماما) في عمل الأكل".
- "آه علشان كدة الأكل طالع حلو، تسلم إيدك إنتي و"صابرين".

لترد "صابرين" بخجلٍ:

- "على إيه يا عمو، أنا ساعدت طنط "هانم" مش أكتر!".
- "سلوى": (الله الله). ومفيش أي كلمة شكر للقمر إلّي قاعد جمبك ده؟".
- "صفوت": "أه قاصدك طبعا أمك!".
- "سلوى" بغيظ: "ماشي أنتم كلكوا كدة محدش حاسس بمشاعري؟!".
- "هانم": "طب والنبي شيلي حبة المشاعر إلّي وقعت على السفرة دي".

لتترك "سلوى" الطعام وهي تشتعل غيظًا وتدخل لغرفتها.

"صابرين" بحزن: "سلوى" زعلت أما أروح أجيبها".

هانم": "خليكي هنا هيّ أصلا خمس دقايق وهتيجي".

- "بس ...".

- "هانم" بتتكلم صحّ خليكي يا "صابرين" وكملي أكل يا بنتي".

- "أه صح فاضل أقل من نص ساعة و"فارس" يوصل".

- "أه طبعا حبيب أمه جاي من الجامعة".

رنّ جرس الهاتف وأسرع "صفوت" بالرد عليه و"صابرين" و"هانم" في دهشة من ملامح التعجب التى ارتسمت على وجه "صفوت".

- "أيوة يا فندم تمام...إن شاء الله..بكرة الصبح بإذن الله".

"هانم": - "في إيه يا"صفوت"؟ مين اللي كان على التليفون؟".

رد بخفوت: - "دا قسم الشرطة بيبلغنى أنهم قبضوا على المجرم اللي سرق "مصطفى" أخويا وطالبين "صابرين" تتعرف عليه بعد ما أدلت بأوصافه فى المحضروكمان عشان يستوفوا المحضر".

- "أيوة بس أنت كده هتجدد أحزان "صابرين" تاني وإحنا ماصدقنا أنها بقت كويسة وبتحاول تنسى".

- "تنسى!! مفيش حد بينسى أمه وأبوه يا"هانم"..لكن ربنا بيلهمنا النسيان والحزن ده الحاجة الوحيدة اللي بتبدأ كبيرة و بتصغر مع الوقت ودي نعمة ربنا علينا!".

"هانم" بهمس مرةً أخرى: "هو لازم تاخد "صابرين" يعنى معاك؟". طيب إستنى "فارس" لما ييجي تاخده معاك متروحش لوحدك".

"صفوت": "ملوش لازمة أكيد هييجي تعبان ثم إنك أكيد هتتجنني عليه".

- "طبعا أنا بقالي تلات شهور مشفتوش".

هنا تتسارع نبضات قلب "صابرين" لدرجة أنها شعرت أن من حولها قد سمع نبضات قلبها، سيأتي (حبيب قلبها) لم تراه من ثلاثة أشهر كاملة ، برغم أحزانها المتراكمة إلا أن قلبها لا يزال متعلقًا ب"فارس" لدرجة الجنون.

وبينما كانا "صفوت" و"هانم" يتناقشان و"صابرين" غارقة بأفكارها حَتَّى قاطعتهم "سلوى" وهي تجلس مرة أخرى:

- "أنا قررت أني أسامحكوا!".

نظرت "هانم" ل"صابرين" لتؤكد لها أنها كانت على حقٍ، وبعد أن انتهوا جميعا من الأكل؛ جلسوا لمشاهدة التلفاز حَتَّى سمعوا صوت فتح الباب.

- "أنا جيت!".

ذهب الجميع إلى الباب إلا "صابرين" التي لم تستطع التحرك من مكانها كأنها شُلت".

"هانم" وهي تحتضن "فارس": "واحشني يا واد".

- "وأنتي كمان وحشاني أوى يا (ماما)".

- "إزيك ياسطى".

- "إزيك يازميل! مش قولتلك يازميل شنبك دا بلاش تربيه!".

وضعت "سلوى" يدها على فمها وعينيها تكادان تحرقان "فارس" من الغيظ ثم تركته ودخلت غرفتها.

- "إزيك يا"فارس" يابني وحشت أبوك يا ولد".

وبعد أن دخل "فارس" المنزل ورأى "صابرين"، إبتسم وهو يقول: "إزيك يا "صابرين"؟

تلك الإبتسامة التي أذابت قلب "صابرين" فهل من الممكن أن تكون هناك إبتسامة ساحرة كإبتسامة "فارس"؟!

إكتفت "صابرين" برفع يديها لتحيّيه بينما التصقت عيناها بالأرض خوفًا من أن يكتشف "فارس" مشاعرها، دخل "فارس" غرفته حَتَّى يغتسل ويستريح قليلًا ثم يلتقي بوالده الذي طلب منه أن يلتقيه.

في الصباح، توجَّهَ "صفوت" إلى قسم الشرطة هو و"صابرين" حتى ينهيا الإجراءات وتتعرف "صابرين" على أحد المجرمين.

"صفوت" للحارس: "من فضلك بلغ حضرة الضابط "محمد" إننا موجودين "صفوت" بيه وبنت أخوه الآنسة "صابرين".

توجّه الحارس إلى مكتب الضابط وأبلغه بوجودهم بالخارج، فأمر الأخير بدخولهم لِيَدْلِفَ الجميع للداخل، وألقوا التحية عند دخولهم على الضابط ورد عليهم التحية وفتح المحضر من جديد، و"صابرين" ترد على أسئلته، قبل

أن يُحضر المتهم ويواجهها به وهي لاتعلم عنه شيئًا سوى أنه لديه لحية بيضاء وحواجب بيضاء كالأشعث، وأقرت بذلك في محضر الشرطة سابقًا مما سهّل القبض عليه.

فعندما رأت المجرم تأكدت أنه هو، صرخت في وجه وقالت:

- "أنت السبب في موت (بابا) و(ماما) حرام عليك!".

وهجمت عليه وحاولت ضربه!!

صرخ المجرم قائلا: "مش أنا والله دا عتريس ومدبولي هما اللي هددوا أبوكي، وأنا بس كنت بقَلَّعُه الساعة وبفتشه وأنا اللي أخدت المية وخمسين الف جنيه والموبايل، وعتريس ومدبولي هُمَّا اللي كان مِرَفَّعِينه بالمسدس مش أنا صَدَّقْني يا (حضرة الظابط) مش أنا والله ماانا، دا كمان عتريس كان عايز يقتلهم كلهم لو كانوا صرخوا ولا قاوموا لكن الراجل كان طيب ومُسالم ومعملش أي حاجة وسلّمنا كل حاجة من غير أي مقاومة".

ساعتها صرخت "صابرين": "حرام عليكوا يامجرمين قتلتوا (بابا) و(ماما) ذنبهم إيه لكل ده؟".

صرخ المجرم بدوره مرةً أخرى وقال: "دا عتريس اللي كان هيقتلهم بس محصلش والله يا فندم إحنا سرقناهم بس".

أمر الضابط بحبسه أربعة أيام على ذمة القضية على أن تجدد في الميعاد وسرعة البحث على عتريس ومدبولي الشريكان الأخران في القضية ، واستوفى المحضر وقدَّم العزاء ل"صابرين" وعمها وشكرها على ماقدمته من

أوصافٍ ساعدتهم في سرعة القبض على الجاني، ولولاها ما تقدموا في هذه القضية خطوة واحدة.

"صفوت": "أنا دِلْوَقْتِي إرتحت أن أخويا ومراته مراحش دمهم هدر وأن العدالة هتاخد مجراها وترجّع حق أخويا بالقصاص العادل -إن شاء الله-".

ودعا الضابط وهَمّا بالخروج و"صابرين" منهارة قليلًا، ولٰكِنَّها في حالة استرخاء أنها قدمت لوالديها هدية ما كانت تظن أنها تستطيع فعلها، ركبت السيارة بصحبة عمها ووصلا إلى المنزل ودخلت "صابرين" حجرتها ولم تخرج منها إلّا بالمساء.

في المساء كانت "صابرين" و"سلوى" تجلسان أمام التلفاز بينما "هانم" نائمة في غرفتها، أما "صفوت" فكان يجلس بعيدًا عنهم يطالع بعض الاوراق وفي هذه الأثناء خرج "فارس" من غرفته وبمجرد أن وصل، حَتَّى أخذه والده ودخلوا الغرفة مرةً أخرى، بينما تعلقت عينا "صابرين" بباب الغرفة وما يقارب ألف سؤال يدور في عقلها.

- "خيريا(بابا) عايزني في حاجة؟".

- "قولى الأول أخبار الجامعة معاك ايه؟".

- "تمام يا(بابا)، بس مش دا إلّي جبتني من القاهرة علشانه، ايه بقا الموضوع اللي قولتلي إنزل البلد علشانه؟".

- "أولا: "إيه رأيك تعلم "صابرين" السواقة؟".

"فارس": "صابرين"؟ السواقة؟ إيه يا(بابا) هو حضرتك طلبتني من القاهرة عشان أعلِّم "صابرين" السواقة؟".

- "يابني عربية عمك هتبوظ من الركنة وكمان منقدرش نبيعها عشان فيها ريحة عمك -الله يرحمه-، فقلت "صابرين" تركبها وفيها تحس بريحة أبوها".

"فارس": - "آسف يا(بابا) أنا مليش خُلق ولا مرارة أعلِّم حد السواقة وبعدين "صابرين" إيه دي اللي تركب عربية!".

"صفوت" بابتسامة: "لأ متقولش كدة لأنك ليك عندي خبر هيفرحك".

- "خير في إيه تاني يا(بابا)؟".

- "أنت -إن شاء الله- هتتجوّز في خلال الشهر ده".

- "بس أنا قلتلك يا(بابا) أني هتجوّز بعد الجامعة وبعدين أنا لسه مكلمتش (باباها) في الموضوع".

- "(باباها) مين؟ أنت هتتجوز "صابرين".

"فارس" بفزع: "صابرين" مين؟ حضرتك قصدك "صابرين" اللي برة دي؟".

- "إحترم نفسك يا ولد دي بنت عمك!".

- "بنت عمي ماشي بس دي عمرها ما هتبقى مراتي، حضرتك هتخلي إبنك حبيبك يتجوز دي؟ يعنى نعلمها السواقة مبلوعة شوية،إنما اتجوّزها أهو دا اللي مستحيل يا (بابا)، وبعدين أنا بحب واحدة وعايز أتجوزها، لكن مش "صابرين" دي؟ دي يا(بابا)؟".

أَسْكَتَتْهُ صفعةٌ على وجهه!!

ليأتي صوت "صفوت" بعصبية: "أنا قلت اللي عندي وأقسم بالله لو مسمعتش كلامي يبقى مفيش جامعة بعد إِنَّهارْدَه ومفيش فلوس تاني، وأملاكي والأراضي مش هتاخد منهم حاجة أنت فاهم؟..يالّا إمشي دلوقتي".

أمام التلفاز كانت لا تزال "صابرين" و"سلوى" تجلسان، عينا "صابرين" تراقبان الغرفة تارةً وتشاهدان التلفاز تارةً أخرى حَتَّى سمعت صوت فتح الباب، لتسرع بالنظر نحوه، إنه "فارس" بعد أن خرج من الغرفة وهو يستشيط غضبًا، أغلق الباب بقوةٍ حتى كاد أن يكسره، ثم نظر ل"صابرين" بنظرةٍ حادةٍ كادت أن تحرقها، خافت منه "صابرين" للحظة حَتَّى أن أطراف أصابعها تجمدت من الخوف، قبل أن يشيح بوجهه الغاضب ويصعد نحو غرفته.

استجمعت "صابرين" ما تبقى من قوتها لتسأل "سلوى" وصوتها يخرج مرتجفا:

- "هو "فارس" ماله؟".

"سلوى" في لا مبالاة: "أكيد إتخانق هو و(بابا) مش جديد يعني".

توجّه الجميع نحو غرفهم وبعد أن استلقت "صابرين" على السرير شردت بعيدا، كانت تلك النظرة التي رمقها بها "فارس" لا تزال محفورةً في

ذهنها، حاولت أن تجد إجابةً لسبب تلك النظرة، لٰكِنَّها لم تجد سببًا سوى أنها لم تردّ عليه في الصباح وإكتفت بتحيته بابتسامةٍ خفيفةٍ.

يا لهذه المسكينة "صابرين"، بنظرة غاضبة منه أيقظها الليل بطوله! في الصباح الباكر، كانت "هانم" مستيقظةً في المقدمة، فهي معتادةٌ على الاسيقاظ قبل الجميع.

خرج "فارس" من غرفته حَتَّى يكلم والدته فهو يعلم أنها تستيقظ أولا، لابد أن يجعلها تقنع والده بأن يعدل عن هذه الفكرة الغبية.

- "صباح الخيريا(ماما)".

- "صباح النور يا (حبيب ماما)، إيه اللي صحّاك بدري إِنَّهارْدَه مش عوايدك؟".

- "بصراحة أنا كنت عايز أكلمك في حاجة".

- "خير فيه إيه ياحبيبي؟".

- "تخيّلي يا(ماما) إن (بابا) عايز يجوزني ل"صابرين".

سكتتْ "هانم" دون أن تَنْبِسَ بكلمةٍ واحدة، ليخرج صوت "فارس" محملًا بأطنان من الأسئلة:

- "معناه إيه السكوت دة يا أمي؟ إنتي برضو متفقة معاه؟ طب أنا مليش رأي في الموضوع ده؟".

- "(باباك) أدرى بمصلحتك".

- "أنا عارف مصلحتي كويس يا(ماما)..إنتوا فاكرين أني هعمل اللي انتوا عاوزينه؟ أنا أتجوز "صابرين" ليه؟ أنا عملت إيه غلط علشان تدبّسوني التدبيسة دي؟".

"هانم" بغضب: "إحترم نفسك دي "صابرين" أحسن منك بمليون مرة وهتعرف دا بعدين".

يبدأ "فارس" بالضحك الهستيري:

- "أحسن مني؟! بصّي يا(ماما) أنا لو بموت مش هتجوز اللي إسمها "صابرين" دي ماشي؟"...

تركها ليدخل غرفته مرةً أخرى، ليمر اليوم ببرود تامٍ فلم ترَى "صابرين" "فارس" ولو مرةً، فهو لا يزال في غرفته، الغريب أنه لم ياكل أي شَيْء والأغرب أن أحدًا لم يَدْعُه على الإفطار أو الغداء ولا يبدو أن أحدا سيدعوه على العشاء.

تلك الأفكار الكثيرةُ التي تكاد أن تقسم رأسها نصفين لم تتوقف، لقد أصبحت مهمتها أن تنظر إلى باب غرفته فلقد رسمت بمخيلتها على باب غرفته آلاف الأمنيّات، رسمت ضحكته في ذلك اليوم، كما أنها رسمت نظرته القاتلة أيضًا، أقبل الليلُ و لم تستطع "صابرين" أن تاكلْ وحبيب قلبها لم يأكل شيئًا، لقد خانته اليوم بأن أكلتْ في الإفطار والغداء ولكن لا..هذا يكفي، إذا كان سيجوع سأجوعُ معه. تَرَدَّدَتْ العبارة في رأسها فلم تأكل شيئًا.

كم هي ساذجةٌ هذه الفتاة؛ فهي تعتقد أن الأكل دون حبيبها خيانة، لا زالت تنظر لغرفته، قبل أن يخرج منها فجأةً، فلم تجد نفسها إلا وعيناها تنظر في الفضاء خشية أن تلتقي عيناها بعينيه وترى تلك النظرة مرةً أُخْرى.

طلب "فارس" من والده أن يأتي لغرفته لأمر مُهِمّ، ليستجيب الوالد ونظرات التحفز بادية على مُحَيّاه، ودخلا الغرفة مرةً أخرى ، كم تتمنى "صابرين" أن تقتل من صنع الأبواب والجدران فهي التي تفصلها عن حبيبها الآن! وبعد ما يقارب (النصف ساعة) خرج "فارس" و"صفوت" وبدؤوا في مناداة الجميع وبعد أن اجتمعوا طلب من "صابرين" أن تتقدم إليه لتقف على يمينه بينما "فارس" على يساره.

"صفوت" بفرح: "طبعا عايزين تعرفوا إيه اللي خلاني جمعتكم إِنَّهارْدَه!؟".

"سلوى" بمرح طفولي: "انت لسه هتخطب!".

"صفوت" بحزم: "بنت!".

- "المسلسل هيبدأ يا(بابا) يلّا بقى قول".

- "وعلشان أختصر عليكوا ومخليكوش تفوتوا المسلسل _إن شاء الله_، "صابرين" و"فارس" هيتجوزوا في خلال الأسبوع ده، ها إيه رأيكم في الخبر ده؟".

إتسعت عينا "صابرين" بدهشةٍ حقيقيةٍ، نظرت لعمها لتراه يبتسم لها بابتسامته الصافية المعتادة:

- "ولا إنتي عندك رأي تاني ياعروسة؟".

إبتسمت إبتسامةً خفيفةً ثم نظرت للأرض، ما خَطْبُ وجنتيها تشعر بأن نارًا قد إشتعلت داخلهما، هل أنا أحلُم؟" ظَلَّتْ تسأل نفسها هذا السؤال عدة مرات، حَتَّى قاطعت "سلوى" حَبْلَ أفكارها وهى تحتضنها:

- "مبروووووك يا حُبِّي!".

لقد إنعقد لسان "صابرين" فلم تستطع أن تجيب بل إكتفت بإبتسامة، ثم بعد ذلك هنّأَتْها "هانم" و أيضًا "صفوت" وجلسوا جميعا يتناقشون في أمر الزواج.

"سلوى": "يعني الفرح هيكون الأسبوع ده؟".

"صفوت": "بالظبط كده!".

- "طب والخطوبة؟".

"هانم": "وهما لسه هيتخطبوا..وبعدين علشان "صابرين" تروح معاه القاهرة بعد أسبوع علشان الجامعة، هي فاتتها محاضرات كتير ومينفعش تتأخر أكتر من كدة إمتحانات الترم هتبدأ خلاص".

وجدت "صابرين" روحها تسبح بعيدًا في عالمٍ آخر، لقد تحقّق حلمها الوحيد وهو باختصار "فارس"، لماذا يبدو الحائط جميلًا اليوم؟ هذا هو السؤال الذي يشغل بالها وهي تنظر إلى الجدار، الحائط لم يتغير ولكن عيني "صابرين" تغيرت، في وسط شرودها تذكرت شيئًا مُهِمًّا لم يخطر ببالها أن تسهو عنه، فهي لم تنظر ل"فارس"! لم ترَى تعابير وجهه عندما نطق والده بالخبر، نظرت إليه لتراه فقط يشاهد التلفاز، إنه يشاهد التلفاز ولم يلتفت مرةً ليرى فيها "صابرين"، ليتأمل (زوجة المستقبل).

حاولت أن تمحو كل الأفكار السيئة وتركز على شيءٍ واحد فقط:

- "فارس" سيكون لي".

مَرَّتْ الأيام بسرعة على غير المعتاد، إنَّهُ (يوم الحنّاء)، فمن طقوس البلدة التي تعيش فيها "صابرين" أن لا يرى العريس العروس من صباح ذلك اليوم إلى ليلة الزواج، كانت ليلة الحناء مبهجةً بحق، فقد حضر الكثير من الناس وقد حنت "صابرين" يدها بشكل رائع لتصبح يدها كالتحفة الفنية.

- "سلوى": "الله يا "صابرين" الحنة على إيديك حلوة أوي!".
- "صابرين" في خجل: "وإنتي كمان الحنة على إيدك تجنن".
- تنظر "سلوى" ليدها باشمئزاز: - "دول حلوين دول ؟؟ لالالا..أنا هغسل إيدي، أقولك كان عندنا مية نار فوق لما أشوف إذا كانت موجودة لسة ولا لأ".

في هذه الحفلة ينقص "صابرين" شيئان لا ثالث لهما، الأول والديها.. رحمهما الله، (ماما)..(بابا) أنا هتجوز بكرة...هذه هي الكلمات التي قالتها "صابرين" وهى ترتدي ثوب الحناء، كم آلمها ألا تكون والدتها أول من يرى فستان العرس لتدمع عيناها اشتياقا لهما ...السبب الآخر هو "فارس"!! طوال الحفل لم تفكر سوى به، ماذا تراه يفعل الآن؟ أهو مشتاق إليها كما تتحرق هي شوقًا لرؤيته؟ أيريد أن يراها اليوم، من المؤكد أنه يتطلع لرؤيتي غدًا كأجمل عروس في الكون بأكمله.

إنقضى اليوم وتم فيه (عقد القران)، وجاء اليوم الموعود! لقد انتهت "صابرين" من زينتها، بينما "فارس" ينتظرها في الأسفل، ها هي تهبط درجات السلالم بهدوء مُتَأَبِّطةً (ذراع عمها) لترى وجه "فارس" يكتمل أمامها شيئًا فشيئًا، وسيمًا جدًّا بهذه (البدلة السوداء) مع (رابطة العنق الراقية) و (تسريحة شعره الأروع على الإطلاق)، لقد كان أنيقا بمعنى الكلمة!

ركبت "صابرين" السيارة لتنطلق بهدوء:

- "عاملة إيه يا "صابرين"؟".
- "تمام الحمد لله".

كان هذا أول وآخر سؤال طرحه "فارس" وهما بالسيارة، لقد كان ينظر إلى الطريق طوال الوقت، فقط إلى الطريق، كأن شيئًا ثمينا قد فُقد منه وهو يبحث عنه أو كأنه نَسي أن هناك أحدا بجانبه، لم يكن هذا مهما بالنسبة

ل"صابرين" التي لم ترفع رأسها فقد أخذت بالنظر في كفيها من شدة الخجل! إلى أن وصلت السيارة لقاعة الأفراح..

كان المكان صاخبا، وجاءت "سلوى" وأمها وأبوها من سيارتهم وبدؤوا بالكلام مع ابتسامة واسعة على وجوههم، ولٰكِنَّها لم تسمع شيئًا من الحديث، فصوت الموسيقي صاخب للغاية، جلس الجميع بمقاعدهم ليبدأ (حفل الزفاف).

وكالعادة لم يكلمها "فارس" أو حَتَّى ينظر إليها!

عادي، هو خجولٌ مثلي على كل حال!! كانت هذه هي عبارتها التي تصبر بها نفسها على كل ما يجول بقلبها من وساوس.

وأخيرًا.....انتهى (حفل الزفاف)..

توجَّه كل من العريس والعروس إلى منزلهما الذي جهزه لهما والده كما ينبغي أن يكون، دخل "فارس" ودخلت "صابرين" وراءه، أكمل "فارس" مشيته دون أن ينظر إلى الخلف، ودخل غرفتهما..دخلت "صابرين" وراءه لتجده يأخذ أحد ألحفة السريرووسادةً يتيمة ويهم بالخروج من الغرفة بسرعة!!

استوقفته "صابرين" بنظرة تساؤل: "فارس" أنت رايح فين؟".

"فارس" ببرود: "هنام برَّه..هو أنتي مفكرة أني ممكن أنام جمبك أو حَتَّى ألمسك؟".

بدت علامات (الهَلَع) على وجهها و هي تقول في حزن حقيقي:

- "إنت بتقول إيه؟!".

- "زى ما بقولك كده...أنا إتغصبت على الجوازة دي ومكنش ينفع غير أني أوافق، بس إن أنا وإنتي ننام في أوضة واحدة دا على جثتي!".

"صابرين" والدموع تتساقط من عينيها: - "طب وليه كل ده؟".

نَظَرَ لها بكل برود من أسفل لأعلى وهو يتفحَّصُها:

- "بُصِّيْ لنفسك في المراية وإنتي هتعرفي!".

دخلت "صابرين" الغرفة ووقفت أمام المرآة، دموعها ترسم أخدودا باللون الأسود فوق وجنتيها، قبل أن تسقط على الأرض من هَوْلِ ما سمعت من "فارس"، بدأت تبكي وهي تضع يدها على فمها حَتَّى لا يسمع صوت نحيبها.

كم هو وغدٌ هذا الذي يسمي "فارس"، لهذه الدرجة لم يشعر بقسوة كلماته؟؟ أم أنه يظنّ بأنها جمادٌ فلن تشعر بأي ألم؟!

"صابرين" : "(بابا) ..... (ماما) وحشتوني!".

هذه هي المرة الأولي التي تشعر فيها "صابرين" بأنَّها وحيدة لهذه الدرجة!

في الصباح الباكر استيقظت "صابرين" لتغسل وجهها وعند خروجها من الغرفة فوجئت ب"فارس" يجلس على الأريكة:

- "جهزي شنطتك وبالّا".

- "علي فين؟".

- "هنسافر القاهرة".

"طب وعمي وطنط؟".

- "متقلقيش أنا اتصلت بيهم وقلتلهم".

- "طب ليه هنسافر إنَّهارْدَه؟".

بعصبيةٍ يردّ..إنتي عايزة (بابا) و(ماما) ييجوا هنا ويعرفوا كل حاجة وأتهزأ تاني بسببك!! يالّا بسرعة نص ساعة وألاقيكي جاهزة..

دخلت "صابرين" الغرفة وبدأت في تجهيز حقيبتها

كم جَرَحَ كرامتها بالأمس، واليوم يتصرَّفُ كأن شَيْئًا لم يكن

وبعد أن جهزت؛ خرجت هي و"فارس" وركبوا السيارة

وقبل أن ينطلقوا إلى القاهرة، ذهبوا فِالبداية لوداع أهله

فبمجرد الوصول؛ كانوا يستقبلونهم جميعا (أمام المنزل)

فبعد أن خرجت "صابرين" من السيارة، إحتضنت "هانم" بشدة

حَتَّى ظنت "هانم" أن شيئًا ما قد حدث!!

- "فيه حاجة يا "صابرين"؟.

- "ولا حاجة يا(ماما)، علشان هنسيبكوا ونمشي".

- "مع السلامة يا "صابرين"، متنسنيش أنا برضو "سلوى" أختك وعموما أنا هتصل بيكي كل يوم ماشي".

"صفوت": "مع السلامة يا ولاد، لولا أن عندكوا إمتحانات اليومين دول مكونتش خلتكوا تروحوا أبدا".

بعد أن ودّعوهم ركبت "صابرين" و"فارس" السيارة ليذهبا هذه المرة إلى القاهرة.

طوال الطريق لم يتكلم أحد منهما فقد إكتفيا بالسكوت!!!

كلٌّ منهما يرسم (سيناريو) لحياته المستقبلية

"فارس" متاكد أنه سيتخلص من "صابرين" ليتزوج تلك الفتاة الجميلة التي يُحِبُّها!

أما "صابرين" فقد كانت ترسم حياتها كلها معه. نعم رغم كل شَيْء، فالعشق جنون قد يقتل صاحبه!

ساعات ولم يصلوا بعد، "فارس" مهتم بالقيادة الأن، و"صابرين" مكتفية بالنظر في الطريق.

وبعد أن وصلوا إلى منزلهم في القاهرة، كان المنزل (رائع وبسيط)، فبمجرد أن دخلوا، "فارس" يشير بيده: "دي هتبقى غرفتك من إِنَّهارْدَه وطالع".

ثم أشار بيده مرةً أخرى: "ودي هتبقى غرفتي!".

ثم دخل غرفته، وأغلق الباب خلفه.

دخلتْ "صابرين" غرفتَها وجلست على السرير لدقائق لتستوعب ما يحدث

"صابرين" وهي تتمتم: "يعني هو مش بيحبني وإتجوزني غصب عنه!".

و"فارس" في غرفته يتنفس الصعداء: "أخيرا جيت القاهرة..أَيْنَعَمْ اللي حصل دا غصب عني بس كلها شهر والتاني وأسيبها وأتجوز حبيبتي اللي زى القمر".

بعد يوم طويل نام "فارس" بمجرد أن وضع رأسه على الوسادة.

أما "صابرين" فاخذت تنام قليلا لتستيقظ مرة اخرى وتفكر قليلا حَتَّى جاء الصباح.

إستيقظ كل من "صابرين" و"فارس" وإرتدوا ملابسهم حَتَّى يذهبوا للجامعة

بعد أن قاربت "صابرين" على الإنتهاء حَتَّى سمعت "فارس" يطرق الباب، لقد إبتسمت لتسرع إلى باب الغرفة:

- "إنتي خلصتي؟".

- "أيوه خلصت".

- "كويس أوي..خلّينا نتّفق على شوية حاجات بقى".

"صابرين" بإستغراب: "حاجات إيه؟".

- "أوّلًا أنا مينفعش أوصّلك للجامعة، طبعا بتسألي ليه؟".

علشان مش عايزحد يعرف إن إحنا متجوزين، أه وياريت متكلمنيش خالص وإحنا فالجامعة".

لم تتكلّمْ "صابرين" بل إكتفت بهزرأسها علامةً على القبول

"فارس" بإبتسامة: "طب كويّس أوى أنا همشي بقى!".

ثم تركها وذهب لتسمع "صابرين" بعد ذلك صوت سيارته

بقيت "صابرين" ساكنةً في مكانها؛ فهي لم تستطع فهم ما حدث حَتَّى الآن، وهل ما سمعته صحيح؟".

إستندت على باب الغرفة وعيناها تذرفان الدموع ، وبعد أن أفاقت أخذت حقيبتها وخرجت هي الأخرى.

جلست "صابرين" تنتظر الحافلة.

لقد كان ذهنها في مكان آخر. مكانٍ مظلمٍ وموحش، حَتَّى أن أعظم الوحوش وأفتكهم لن يقترب من هذا المكان.

كم تتمنى أن تتوقف عن ذرف الدموع من أجله، كم تتمني أن يتوقف قلبها عن الخفقان له!

(أيكرهني لأني سمراءُ البشرة؟! ولكن هذا ليس ذنبي!)

كم يؤلمها قلبُها عندما تتذكّر أن كلَّ ما يحدث ليست لها أي ذنب فيه سوى أنها وُلِدَتْ سمراء وليست فائقة الجمال!

لقد وصلت الحافلة؛ ركبتها "صابرين" حَتَّى تصل إلى الجامعة

وهناك كان "فارس" يبحث يمينا ويسارا، لقد نظر في كل مكان، ولكنه لم يجد مايبحث عنه.

حَتَّى تفاجأ من خلفه بيدين وضعتا على عينيه.

"أنا مين؟".

إبتسم "فارس" ثم أمسك هاتين اليدين والتفت للمتحدث وإبتسامته تعلو وجهه:

- "إنتي كنتي فين يا "بسمة" دورت عليكي فِالجامعة كلها؟".

"بسمة" بدَلَع: "أيوه بقالك أسبوع مختفي ودلوقتي جي تسأل عليا!".

قَبَّلَ "فارس" يديها ثم نظر إليها ، معلش يا حبيبتي حصلت شوية ظروف في البلد واضطريت أروّح".

"وبعدين هو انا اقدر استغنى عن القمر ده!".

لقد كان "فارس" على حق؛ فقد كانت "بسمة" مثل القمر في ضيائه وجماله الخلّاب؛ فلم يكن هناك شاب فى الجامعة إلا وأُغرم بها ولكن قلبها

إختار"فارس".

ولكن أيضًا "بسمة" ليست سوى (فتاة ساذجة وتافهة) بمعنى الكلمة.

فكل ما يهتم ويعجب به "فارس" فيها هو إهتمامها بالحفلات وأَجْدَد صيحات (الموضة) في الملابس والأحذية والشعر.

هذا بالتحديد ما يعجب "فارس" فهو يحب جمالها الطاغي لا يهتم كثيرا لكلامها التافه! فما يهمه أن حبيبته هي أجمل بنت فالجامعة.

******

لقد وصلت "صابرين" إلى الجامعة، نزلت من الحافلة ووقفت أمام الجامعة.

هذه ليست أول مرة تدخل فيها الجامعة فقد أمضت فيها سنة، وهذه هي الثانية. رغم أنها تخلفت (ثلاث شهور) هذه السنة، ولكن هذا ليس سبب وقوفها أمام البوابة هكذا.

هذا بسبب "فارس"! فماذا إن رأيته؟ ماذا أن أخطأت وسلمت عليه؟ ماذا لو كان أحدٌ يعرف بأمر زواجنا وأخبر الجميع، و"فارس" الآن يستشيط غضبا؟".

أفكارٌ كثيرة تزاحمت في رأسها. ولٰكِنَّها هزت رأسها يمينًا ويسارًا حَتَّى تطردها جميعا، أخذت نفسًا عميقًا إستجمعت به كل قوتها ودخلت الجامعة بمشيتها الخجلة فهي تميل دائمًا إلى النظر للأرض متجنبةً الأماكن المزدحمة حَتَّى وصلت إلى مكانها المعتاد..نعم إنّه المقعد تحت الشجرة الكبيرة هناك فهو مكانها التي إعتادت أن تجلس هناك في سنتها الأولى. جلست في مكانها المعتاد وهي تنظر إلى كل شَيْء لترى أن كان هناك شَيْئًا تغير أم لا!

وفي وسط شرودها وضعت "صابرين" يدها على بطنها فهو يؤلمها كثيرا حَتَّى تذكرت أنها لم تأكل شيئًا قبل أن تأتي؛ قامت "صابرين" من مكانها لتشترى شيئًا تأكله عند مقهى الجامعة!

وكالمعتاد كانت تمشي وهي تنظر الى الأرض حَتَّى وصلت فرفعت عينيها.... ولكن ما هذا!؟

رفض عقلُها أن يصدق ما تراه عيناها للحظات إنه "فارس" ولكن من تلك الفتاة؟! لماذا يمسكان بأيدي بعضهما البعض؟ ولماذا هو قريب منها إلى هذا الحد؟

بدأت قدما "صابرين" بالتراجع للخلف حَتَّى إبتعدت عنهما ثم بدأت بالمشي بلا وعي! كالجسد بلا روح تحدّث نفسها!

أليس غريبًا أن تجد إمرأة تعتبر الأكل وحبيبها جائع خيانة؟!

ورجل يعتبر الخيانة كأنّها مجرد وجبة يتناولها على الافطار!؟

قدمان تسيران بلا هدف وعينان غارقتان بالدموع وجسدٌ كأن ما نزل عليه مرض أنهكه!

وعقلٌ قد شُلّ من هول ما رأى، وقلبٌ قد حُكم عليه بالموت.

حَتَّى قاطعها صوتٌ قادمٌ من على يسارها.

نظرت "صابرين" وإتسعت عيناها إنها سيارة قادمة بأقصي سرعتها أغمضت عينيها وإنتظرت أن تقابل ربها حَتَّى أمسكتها يد من ذراعها وسحبتها بقوة: "إنتى مجنونة؟ مش تحاسبي!".

إستفاقت "صابرين" من شرودها على صوت هذا الشخص

"صابرين" بأسف: "أنا أسفة أسفة..".

"إنتي بتتأسّفي ليه؟ إنتي اللي كنتي هتموتي!".

ما زالت عيناها ملتصقتين بالأرض وهي مستمرة في الأسف.

أدارت ضهرها وبدأت بالجري.

لم يستوعب هذ الشخص ماذا حدث سوى أنه إبتسم وأكمل طريقه

وهي تجرى مُهَرْوِلَةً دون أن تعلم لماذا تجري

أهي تَهْرُبُ من مصيرها أم من ماذا؟! لا تعلم هي فقط تجرى.

تَوَقَّفَتْ في مكانٍ بالطريق..

"صابرين" بحزن: "يا ربّ أنا إيه ذنبي كل دا يحصلي يارب!".

تلك الدموع التي تستمر بالنزول مثل الأمطار الغزيرة

بدأت بالرجوع مرةً أخرى ولكن هذه المرة بخُطًى بطيئةٍ كأنها ستقابل الموت أو

شَيْء كهذا تمشي في الطريق كالطفل التّائه عن أمه. لا تعلم أين هي ولٰكِنَّها

تستمر في المشي عسى أن تنسى من هي عسى أن تنسى لماذا تبكي..

عسى أن تنسى "فارس".. إنّه (أذان المغرب) الآن!!

لقد تعبت "صابرين" من المشي؛ فجلست على أحد الكراسي في الشارع

ورغم كل هذ المشي فهي لم تنسى من هي ولا لماذا كانت تبكي

فقد إقتنعت أنّ مهما حدث ستظل تتذكره!

أوقفت "صابرين" إحدى الحافلات لتاخذها للمنزل

بعد أن وصلت ودخلت المنزل، إنها تشتم ذلك العطر

إنه عطر"فارس" المميز

- "شكله جه".

دخلت غرفتها لتستلقي على سريرها

لقد أنهكها التعب من كثرة المشي

أغمضت عينها ولٰكِنَّها لم تستطع النوم، تعجز عينيها عن نسيان هذا المشهد!

فمن الصعب أن تجد "فارسها" يضحك لإمرأة أخرى يمسك بيدٍ غير يدها

فكم كانت تلك الفتاة جميلة!

تمنت "صابرين" لو أصبحت جميلة مثلها ليحبها "فارس"

لقد نامت من كثرة التفكير لعِدة ساعات

في الصباح، إرتدت "صابرين" ملابسها وخرجت من غرفتها

لقد كانت غرفة "فارس" خاليةً

لقد ذهب!

لم تتفاجأ "صابرين" ولٰكِنَّها أرادت فقط أن تطعمه قبل أن يذهب. أخذت

"صابرين" شنطتها وأغلقت الباب وراءها

في الجامعة "فارس" يجلس و"نسمة" في الكافتيريا

- "موحشتكيش؟".

"نسمة" بدلع: "طبعا يا روحي!".

"فارس" بعتاب: "أُمال ليه مشيتي بدرى إمبارح؟".

- "أصل كانت صحبتي "لوله" عاملة (بارتي) مقولكش وكان لازم أروح بدرى علشان أجهّز نفسي".

- "أأاه".

"فارس" بإبتسامة عريضة: "هاهو السيد "هيثم" قادم من (بلاد الواك الواك)

ذلك (الهيثم) الذي لا يقل جاذبية عن "فارس" فما أجمل خصلات شعره الذهبية، وعينيه الساحرتين، ووجهه الطفولي الجذّاب ولكنه لا يشبهه أبدا في طباعه...

ها هم يلتقون مرة أخرى "فارس" و"هيثم" أفضل الأصدقاء

- "ازيك يا "نسمة"، عاملة ايه؟".

- "تمام الحمد لله يا "هيثم".

- "كنت فين يا "هيثم" بكلّمك مكنتش بترد؟".

- "والله يازميل المحاضرات قطعت نفسي.... إنت اللي كنت فين من أسبوع محضرتش ولا محاضرة؟".

- "كان عندي ظروف في البلد وكده".

- "طب انت مش رايح المحاضرة ولا إيه؟".

- لأ رايح ... طب يلّا بينا...يلّا يا"نسمة".

- "أوك، يلّا بينا!".

ها هم الآن (خارج المقهى) وفي طريقهم للمحاضرة

- "وأخدنا حاجة مهمة وأنا مش موجود يا"هيثم"؟

- لا لا مش حاجات مهمة أوي، وابقى خد (الكشكول) بتاعي انقل منه أنا عيونى ليك يا"فارس" وِعِدّ الجمايل"...

"صابرين" وصلت للجامعة ، تقدمت خُطاها، لقد اقتربت من المُدَرّج لتقف ثابتةً دون حراك

إنه "فارس" مع تلك الفتاة ومعهم شخص ثالثٌ

لم تكن هذه المشكلة هنا.

إن "فارس" ومعه هذا الشخص يقتربان منها

ماذا تفعل؟!

دقات قلبها تتسارع، كم هي متوترة! العرق يتصبّب منها حَتَّى وقف هذا الشخص أمام "صابرين" وبجانبه "فارس"

"هيثم": "إنتي اللي كنتي هتموتي إمبارح صح؟ طبعًا إنتي مشيتي بسرعة فيمكن مش فاكراني، شكلي أنا الشخص اللي أنقذتك

مدّ يده وإبتسامة عريضة تعلو وجهَه: "المهم..أنا "هيثم"..وإنتي؟".

لم تجد "صابرين" نفسها إلا وهي تمد يدها وتسلم عليه: "أنا "صابرين".

نظرت إلى "فارس" لتجد تلك النظرة الحادة مرةً أخرى كأنه يقول لها:

"ألم أقل لكي إبتعدي عن حياتي..أَلَا تفهمين؟"

أبعدت نظرها بسرعةٍ عنه

- "إنتي في سنة كام؟".

- "أنا في تانية".

"هيثم" بإستغراب: "إيه دا انتي معانا!!. أنا ليه مشفتكيش قبل كده!".

إكتفت "صابرين" بإبتسامة دون الردّ فليس لديها جواب على هذا السؤال

أمسك "فارس" "هيثم" من معصمه: "يلَّا يا "هيثم" المحاضرة هتبدأ

- "أه صح طب يلا بينا...يلّا يا "صابرين" معانا".

إتسعت عيني "فارس"!!

لقد لاحظت "صابرين" مدى غضبه الشديد وكرهه لهذه الفكرة

- "لا معلش روحوا إنتوا وأنا هاجي بعد شوية".

- "خلاص ماشي..وإبقي بصي يمين وشمال ها..أنا هبقي فالمحاضرة ومش

هعرف أنقذك".

إبتسمت "صابرين" في رضا، لينصرف "فارس" في البداية وتبعته "نسمة" و"هيثم" ، وقفت "صابرين" قليلًا قبل أن تذهب للمحاضرة.

بعد شرحٍ إستمر لما يقارب الساعتين.. خرج الجميع من المحاضرة لقد كانت المحاضرة الوحيدة هذا اليوم..

ذهبت "صابرين" إلى البيت كالعادة فليس لديها ما تفعله سوى ذلك..

إنها في طريقها للبيت بعد أن قررت اليوم تتمشى قليلًا ، ولكن لسوء حظها، لقد بدأت تِمَطَّرْ

حاولت "صابرين" أن تحمي نفسها من المطر، ولكن كان قد فات الآوان، لقد تبللت تمامًا، ولكن قد تبين أن لديها بعض الحظ فبعد عدة دقائق كانت قد وصلت للبيت..

دخلت بسرعة إلى غرفتها وبدأت في تبديل ملابسها

لسوء الحظ مرة اخرى لقد نسيت أن ملابسها كلها تحتاج للغسيل

لم يكن أمامها سوى أن تأخذ منشفة وتلفها على جسمها حَتَّى تغسل إحداها..

وفي هذا الوقت، سمعت الباب يفتح ثم يغلق بعنف.. ثم سمعت خطوات سريعة قادمة ناحية غرفتها، ثم فتح الباب مرةً واحدة

كان قد وصل "فارس" إلى البيت...ركن سيارته بسرعةٍ ودخل البيت

نظر إلى باب غرفتها بغضبٍ كاد أن يذيبه..

أسرع إلى الباب وفتحه بقوَّة..عيناه الغاضبتان انقلبتا إلى الدهشة!

قطعةٌ من القماش ملتفة حول جسم "صابرين" فقط، إنّها كافيةٌ لتغطية مايجب تغطيته ولٰكِنَّها ليست كافية لتغطية جميع جسدها، إستمرت نظرات الإندهاش من "فارس" و"صابرين" للحظات، قبل أن يخرج "فارس" ويغلق الباب بسرعة

"فارس" وهو خلف الباب: "البسي بسرعة وأخرجي عايزك في موضوع ضروري!".

لا زالت "صابرين" في حالة صدمةٍ كأنّ صاعقةً قد أصابتها، ما أسوأَ حظ هذه الفتاة فالمواقف السيئة والمحرجة دائمًا تلاحقها، حاولت "صابرين" أن تلبس أي شَيْءٍ لها لتخرج له.

"فارس" يحاول أن يبرّر لنفسه ما حدث: "ماهي المفروض مراتي حتى لو عالورق أنا مكنتش أعرف وبعدين فيها إيه يعني؟".

وهو يحدث نفسه فُتح باب الغرفة وخرجت "صابرين"، حاول "فارس" أن ينظر في عينيها حَتَّى يبيّن مدى غضبه ولكنه لم يستطع فكان لا يزال يشعر بالإحراج برغم ذلك!

- "انا مش قولتلك تبعدي عني؟ انتى ايه مبتفهميش؟".

حاول أن يبين فيه لهجة الغضب!

"صابرين": "ا.....ان .....ان .....ان...".

ظلّت تتمتم دون أن يفهم "فارس" منها كلمةً واحدة

- "خلاص خلاص تقدري تدخلي أوضتك".

ثم تركها وأسرع إلى غرفته.. إستجمعت "صابرين" قوَّتها وذهبت غرفتها

- "أنا غبية مقدرتش أقفل الباب...غبيّة!".

ما هو الأصعب؟ الشعور بالاحراج أم الشعور بالجوع؟

"فارس" لم يأكل شيئًا من الصباح ولا يستطيع الخروج لأن المطر غزير

ماذا يفعل؟ وفي وسط تفكيره يسمع طرقًا على الباب، يفتح الباب ببطءٍ

وتدخل "صابرين" بهدوء: "فارس" تحب تتغدي إيه؟".

تلك هي الجملة التي تمنّى أن يسمعها من الصباح حاول أن يبدو ثابتا

- "أي حاجة".

- "خلاص نص ساعة والأكل هايجهز".

- "خلاص ماشي بمجرّد أن خرجت "صابرين" من الغرفة؛ إعْتَلَتْ الضحكة وجهه "فارس".

في المطبخ "صابرين" بدأت بتحضير الطعام، فرغم أنها في البداية سيئة للغاية إلّا أنها قَرَّرَتْ أن تتعلم كيفية الطبخ حَتَّى نجحت لأنها أرادت أن يتذوق "فارس" من طعامها يومًا ما.. وبعد نصف ساعة...جهز الطعام وبدؤوا في الأكل.. حاول "فارس" أن لَا يأكل بسرعة، ولكنه كان سيموت جوعًا!

أما "صابرين" فكانت تنظر ل"فارس" وهو يأكل بشراهة، بعد أن انتهوا من الأكل ذهب كل منهم إلى غرفته..

بدأت "صابرين" في المذاكرة ولكن كان هناك الكثير من المحاضرات التي لم تحضرها ولا تعلم شَيْئًا عنها، لذلك قررت في الصباح أن تأخذ الورق الخاص بتلك المحاضرات من أي زميل، أما "فارس" فهو ليس من هواة المذكراة، فقط أخذ ما يقارب (الثلاث ساعات) مع "نسمة" على الهاتف يتحدث معها. وبعد أن إنتهي إرتمى على السرير وغاص في أحلام عميقة....

في الصباح كان المطر قد توقّف ولأن الجو لا يبشر بالخير فالسَّماء تغطِّيها السّحب

"شكلها هتمطّر تاني!" ذلك ما قالته "صابرين" قبل أن تاخذ مظلَّتها وتخرج من المنزل..

في الجامعة، كان "فارس" يجلس مع "هيثم" أما "نسمة" فلن تأتي اليوم، فلديها (حفلة) تريد أن تتحضر لها

"هيثم": "هتطلب إيه يا زميل؟".

- "أي حاجة..ولا أقولك اطلبلي قهوة؛ دماغى هتنفجر!".

- "من عينيا".

ذهب "هيثم" ليجلب القهوة له ول"فارس"..

ولم تمر (عشر دقائق) حَتَّى عاد ليجد "فارس" قد أنهى مكالمة ما وقد هَم بالنهوض!

- "إنت رايح فين؟".

"فارس" وهو يبدو عليه الجدية: "معلش يا "هيثم" أَصْلِي لازم أروح مكان ضروري!".

- "طب والمحاضرة؟".

- "خلاص أبقي أنقل منك المحاضرة دي..يالّا سلام".

كانت تبدو على "فارس" ملامح الجدِّيّة الشديدة! فلم يهتم "هيثم" كثيرا وجلس يطالع الكتب..

بعد أن دخلت "صابرين" الجامعة ذهبت للمقهى لشرب (كوب من القهوة) فما أن دخلت حَتَّى قابلها "هيثم"..

"هيثم" بابتسامة عريضة: "صابرين" إزيك".

- "أنا تمام الحمد لله".

- "تعالي أُقعدي".

فجلست على نفس الطاولة معه

- "إنتي جايّه تعملي إيه؟".

- "كنت جايّه أشرب قهوة".

- "تعرفي إن حظك من السما أنا لسه جايب إتنين قهوة اتفضلي!".

- " لالا أنا هجيب بنفسي".

- " يابنتي أنا جايب برضو لنفسي خدي".

أخذت "صابرين" كوب القهوة وبدأت ترتشف منه

- "مممم...المحاضرات عاملة معاكي إيه؟".

- "تمام الحمد لله بس اصلي بقالي (ثلاث شهور) مجتش علشان كده لسه يعني مش معايا الورق بتاع المحاضرات اللي فاتت".

- "بقالك (ثلاث شهور) ياااه كنتى فين دا كله؟".

- "أصل كان عندى ظروف صعبة شوية والدى ووالدتى ماتوا في حادثة وأنا مكنتش قادرة أستوعب اللى حصل ده،لأنهم هما كل حاجة في دنيتي... ياريتهم كانوا خدوني معاهم!".

- "متقوليش كدة يا"صابرين"، دا (ربنا لطيف بعباده) هو أحن عليكي من أي حد في الدنيا حتى من أبوكي وأمك -الله يرحمهم-...

طب وانتي عايشة مع مين دِلْوَقْتِي؟".

"صابرين" تعثّرتْ في الردّ ولكن أجابت بسرعة: "عايشة في بيت عمّي مع بنته ومراته".

ولٰكِنَّها لم تذكر "فارس".

"خلاص إعتبريني أخوكي وصاحبك وكل أهلك من إِنَّهارْدَه ياستي!".

إبتسمت "صابرين" في هدوء وشكرته على مشاعره الرقيقة تجاهها وقالت له: "أنا مش عايزة غير المحاضرات اللي فاتت، لو ممكن عشان الحق أذاكر".

- "أنا معايا بس في البيت مش هنا، بكره -إن شاء الله- هجيبها تصوريها ماشي

- "خلاص ماشي... شكرًا"

في المساء، "فارس" يمشي هائما في الطريق! فالمريض الذي لا أمل في شفائه لا يعرف أين يذهب وكأن هموم العالم قد إرتمت فوق كتفيه..

يالله!! إنه المطر مرةً أخرى...لقد بلّله المطر ولكن دون أن يشعر به، كأنه لوح خشبي بلا إحساس ، وبلا وعي...أخرجَ هاتفه؛ حادث "نسمة" أن تأتي لمقابلته..

- "قابليني ضروري".

- "مينفعش يا "فارس" أنا في (بارتي) دلوقتي".

- "أنا محتاجلك يا"نسمة" أرجوكي".

-"يا "فارس" أنا مش سمعاك، الأغاني عالية أوي ومش سامعة حاجة!".

لقد أُغلق الهاتف... وتابع "فارس" سيره تحت المطر!

في البيت، تجلس "صابرين" في غرفتها للمذاكرة... وبينما تذاكر تسمع صوت طرقٍ على الباب...

- "مين اللي بيخبط كدة ؟".

قبل أن تحادث نفسها : "فارس" معاه مفاتيح الشقة هيكون مين؟".

خرجت "صابرين" من غرفتها واقتربت من الباب

- "مين؟".

"فارس" بصوت خافت: "انا"...

فتحت "صابرين" الباب لتجد "فارس" مبللًا بالكامل... إقترب منها ثم إرتمي في أحضانها مغشيا عليه!

حاولت "صابرين" بكل قوَّتِها ان تسنده... ونجحت في ذلك فرغم جسم "صابرين" الهزيل إلا أنها استطاعت أن توقفه على قدميه ، وضعت يديه على كتفها ليستند عليها..

لا تعلم كيف فعلت ذلك ولٰكِنَّها استطاعت أن توصله إلى السرير..

بعد أن رقد على السرير، لاحظت "صابرين" أن ملابسه كلها مبتلة..

اقتربت "صابرين" منه ووضعت يدها على جبينه:

- "دا سخن اوي اعمل ايه يا ربي؟".

"فارس" "فارس" ردّ عليّا ارجوك!".

بدأت "صابرين" في مناداته حَتَّى يُفيق...ها هما عيناه تتفتحان بصعوبة..

"فارس" انت سامعني.....قوم غَيّرْ هدومك

يبدو أنّه بدأ يستوعب ما تحاول "صابرين" قوله..

بسرعةٍ اخرجت بعض الملابس ليرتديها ثم بعد ذلك ساعدته على النهوض من السرير... ها هو الان يقف.. فإبتعدت "صابرين" عنه قليلًا..

إنه يبدو كالجثة الهامدة؛ جسد بلا روح..

كم يؤلم "صابرين" رؤيته هكذا فرغم قسوته إلّا أنه لا يزال يملك قلبها...

لايزال "فارسها"! لقد أمسك أزرار قميصه وبدأ في خلعه..

إتسعت عينا "صابرين" لتدير وجهها ثم أسرعت بالخروج من الغرفة..

أوقفها صوته الخافت: "متمشيش".

تجمدت قدماها في مكانهما!

نظرت له مرةً أخرى لتجده قد خلع قميصه نهائيا..

هذا المرة نظرت بسرعةٍ إلى الأرض وبدأت بالمشي إلى خارج الغرفة..

هذه المرة أوقفتها يداه العاريتان، وهما يحتضناها

- "متمشيش..خليكي معايا أنا محتاجلك".

هذه الكلمات التي همسها في أذنها أوقفت "صابرين" عن النطق..وعن الحركة..وعن التنفس لبضع لحظات...

ماذا تفعل؟

أرادت أن تبعده عنها، ولٰكِنَّها لا تستطيع تحريك يديها، تريد أن تقول له: إبتعد، ولكن لسانها قد عقد.

إبتعد عنها قليلا ثم أكمل تبديل ملابسه، و"صابرين" تنظر إلى الجهة الأخرى في جمود...

بعد أن انتهى من تبديل ملابسه، إرتمي على السرير...

نظرت له "صابرين" لتراه مغمض العينين والعرق يتصبب منه..

تسللت إلى الخارج وأحضرت بعض الماء البارد ومنشفةً ودخلت اليه مرةً أخرى..

جلست على كرسيّ بجانبه وبدأت في وضع الكمادات على وجهه..

وظلّت هكذا طوال الليل و"فارس" يُتَمْتِمُ بكلمات لم تفهمها "صابرين":

"حرام عليكم..هو عمل إيه!".

لقد تلقي "فارس" اليوم خبروفاة صديقه "خالد" ولم يُخبر أحد حتى الآن..

لقد كان "فارس" و "خالد" أصدقاء في السنة الأولى من الجامعة ولكن "خالد" فقير إلى حد كبير فهو يعول عائلته بعد وفاة والده..و في آخر السنة الأولى أصيب "خالد" في حادث ونقل إلى المسشفى... لقد كانت حالته خطيرة ودخل في غيبوبة.

إهتم "فارس" بتكاليف المسشفى ولكن قبل عدة شهور نسي "فارس" أن يدفع للمسشفى مايدفعه كل شهر، ليفاجأ عند ذهابه للمسشفى بعد سماع خبروفاته أن سبب وفاة صديقه هو (إهمال الأطباء) له بعد أن تم نقله إلى (القسم الإقتصادي) وغرفة غير مناسبة لحالته الصحية لعدم دفع المال اللازم لعلاجه!

في الصباح، هاهو "فارس" يفتح عينيه ويضع يده على رأسه ليتفاجأ بالمنشفة فوقها...

جلس "فارس" على السرير وهو ينظر إلى المنشفة بإستغراب!

- "إيه إلى جاب المنشفة دي فوق راسي؟".

نظر يمينه ليجد "صابرين" تجلس على كرسي بجانب سريره واضعة رأسها على سريره...

وغارقه في النوم.

"فارس" بتفاجؤ: ؟إن. إن.. إنتي بتعملي إيه هنا؟".

إنتفضَتْ "صابرين" من نومِها وإبتعدت عن السرير حَتَّى التصقت بالحائط...

نظرات "فارس" الغاضبة التي تحاصرها:

- "بقولك إنتي بتعملي ايه هنا؟ انطقى؟".

ذلك السؤال الذي يحمل بداخله الكثير من الأسئلة والشكوك

- "إنت كنت سخن إمبارح وكنت بعملك كمادات".

إختفت تلك النظرات الغاضبة..

- "طب خلاص تقدري تروحي أوضتك".

إستجمعت "صابرين" قوتها وإنطلقت مسرعة إلى الباب!".

أما "فارس" فقد أخذ التفكير فيما حدث بالأمس...

فقد (مات خالد) صديقه و(هو السبب).

وضع يده على رأسه كأنما هموم الدنيا قد أُلقت على كتفيه..

عينان يائستان وقلب يتشبعه الألم!

أتعلمون ما هو أكثر عذاب النفس ألمًا؟ إنّه الندم!

كم إعتصر الندم قلب "فارس" فبسببه قد فارق صديقه الحياة!

إستجمع عقله ماحدث البارحة.. إنتفض "فارس" من السرير كأنما حيةٌ قد لدغته... لقد تذكر ما حدث البارحة... كيف أنه طلب لقاء "نسمة" ولٰكِنَّها أهملته، وكيف أن المطر قد أعياه، وكيف وصل المنزل... وكيف إرتمي في أحضان "صابرين"..

لقد تذكر أدق التفاصيل التي جعلته للوهلة الأولي كالمجنون يجوب في أرجاء الغرفة دون تفكير....

"فارس": "لالالالا دا محصلش. أكيد انا كنت بحلم!".

ليتذكر أخر شَيْء...كيف إحتضنها وطلب منها البقاء بجانبه

لقد كانت القشة التي قصمت ظهر البعير!

لقد صرخ بأعلي صوته: "لاااا".

في الغرفة الأخرى كانت "صابرين" جالسة على السرير غير واعية لما يحدث تضرب يدها برأسها علامة على غبائها الشديد...

- "أعمل إيه ياربي أعمل إيه..أحسن حاجة إني أروح الجامعة دلوقتي!".

أسرعت "صابرين" بتبديل ملابسها وخرجت من الغرفة... لتفاجأ ب"فارس" يخرج من غرفته هو الآخر..

أسرعت من خطواتها حَتَّى تتفادى ملاقاته...

- "صابرين" إستني".

توقفت "صابرين" ونظرت اليه في حيرة!

"صابرين" بتوتر: "فيه حاجة؟".

- "إستني أنا هوصّلك".

إكتفت "صابرين" بالنظر اليه بدهشة "هو دا فعلا "فارس"!

أحقًّا كان "فارس"؟ حسنا لو أنها لم تسبق الأحداث لفهمَت كل شَيْء

ركب "فارس" السيارة وركبتْ بجانبه "صابرين" وإنطلقا إلى الجامعة

لقد مضت (خمس دقائق) ولم يتكلم أحد...

ذلك الهدوء المخيف الذي يسبق العاصفة...

"صابرين" لا زالت لا تفهم ماذا يدور في ذهن "فارس"!

"ممكن يكون حَبْ يشكرني علشان إمبارح" تلك الفكرة التي تسللت إلى رأس "صابرين" لتعبث بها!

لقد إقتربا من الجامعة، لم يتبقى سوى عدة أمتار...

أوقف "فارس" السيارة ونظر إلى "صابرين"...

- "اللي كنت عاوز أقوله إن مهما حصل إمبارح فأنا مش فاكر، ويارِيت متفهميش أي حاجة غلط. لأني كنت تعبان ومش في وعيي!".

إكتفت "صابرين" بهزّرأسها، موافقةً ثم خرجت من السيارة وقالت" "أنا هخدها مشي لغاية الجامعة".

إنطلقت سيارته إلى الجامعة دون مبالاة!

خطوة تسبق الأخرى لم تتبقى سوى بضع خطوات ولكن ما أبعد الطريق التي تراه "صابرين"!

لا تزال حَتَّى الآن لم تَعْتَدْ على كلمات "فارس" القاسية التي تخترق قلبها كالرصاص فتقطعه!!

ممكن أمشي معاكي؟ التفت "صابرين" لتنظر...

إنه ذاك "الهيثم" بإبتسامته الصافية!

- "ماشية ليه لوحدك؟".

- "ولا حاجة".

عيناها التي تنظر إلى الأرض في تأمّل كأنها تعرفت حديثا إلى أحد حبات الرمل ويتحدثان إلى بعضهما بشغف... رفعت رأسها في فزع على صوت أحد السيارات التي تقترب منها.

أمسكها "هيثم" من معصمها وشدها إليه ويداه التفتا حول خصرها وعينيهما إقتربتا من بعضهما لدرجة أن أنفاسهما قد إختلطتا مع بعضهما

- "شكلي أنا (السوبرمان) بتاعك بقا"...

إبتعدت عنه "صابرين" بسرعة قائلة:

- "إنت إزّايْ تعمل كده؟".

"هيثم" بإبتسامة: "أعمل إيه؟ العربية كانت هتخبطك لولا إني أنقذتك".

- "برضو ماكنش يصح تعمل كده!".

إحمرّت وجنتا "صابرين" من الخجل؛ ثم تركته وأسرعت إلى الكلية

أما "هيثم" فقد إكتفى بالنظر اليها والإبتسام...

ها هو "فارس" بالجامعة..لقد تبقى ما يقرب الساعة قبل بدء المحاضرة..... يقف وحيدًا في أحد أركان الجامعة يفكّر كيف ينهي إجراءات دفن "خالد صديقه"... بينما كان شاردًا في أحد الكتب سمع صوتا يناديه، التفت ليجد "نسمة"

- "إزيك يا حبيبي؟".

نظر "فارس" إلى الكتاب مرة أخرى دون الردّ عليها!

- "إنت زعلان مني ولا إيه؟ علشان إمبارح يعني! معلش يا بيبي بقى".

لا يزال "فارس" يطالع الكتاب وعيناه تكاد أن تخترقا صفحاته من شده الغضب! فلولا إهمالها له لما حدث ما حدث بالأمس...

وبينما كانت "نسمة" تكلمه حَتَّى إقترب منهم "هيثم"، إنتوا لسه قاعدين يلا يا جماعة المحاضرة قرّبت تبدأ".

- "طب يلّا يا "فارس"!

ذهب "فارس" معه تاركًا "نسمة" بلا أي أهتمام!

بعد إنتهاء المحاضرات...

ها هي "صابرين" جالسة في مكانها المعتاد تطالع أحد الكتب بإهتمام

بينما يمشي "فارس" و"هيثم" ووراءهم "نسمة" محاولةً مصالحة "فارس"

إقتربت "نسمة" من "فارس"...

- "خلاص بقا يا بيبي متزعلش مني!".

- "هو فيه إيه يعنى يا"فارس" ياحبيبى؟".

- "مفيش حاجة".

وبينما كانا يتحدثان التفت "هيثم" ليجد "صابرين" جالسة هناك

إقترب منها و"نسمة" و"فارس" وراءه...

- "مش عايزة (السوبرمان) بتاعك في حاجة تانية إِنَّهارْدَه؟".

نظر له "فارس" بإستغراب فماذا يعني بهذا الكلام؟!

بمجرد أن نظرت له "صابرين" حَتَّى أغلقت الكتاب ونهضت من مكانها

- "إنت مش هتبطل بقى؟".

في ذلك الوقت كانت "نسمة" تحاول مصالحة "فارس"...

- "خلاص بقا يا "فارس" وحياتي!

قرّر "فارس" مجاراتها حَتَّى لا تظن "صابرين" أنها السبب...

أمسك "فارس" يد "نسمة" وقبلها!

- "خلاص يا حبيبتي بس دي آخر مرة!".

- "خلاص أوعدك!".

لم تتحمل "صابرين" هذا المنظر تركتهم وإبتعدت... فلحقها "هيثم"..

- "ها ناوية بقا تعملي حادثة على الساعة كام كدة؟ علشان أظبط مواعيدي وآجي أنقذك!؟

إبتسمت "صابرين"... نظر اليها "هيثم" إنها المرة الأولى التي يشعر هكذا فليس من عادته ملاحقة الفتيات ولٰكِنَّها مختلفة...

لقد أُغرم بعينيها من (النظرة الأولى)؛ فهي تحوى براءة الأطفال بداخلهما

- "تعرفي إن ضحكتك حلوة!أنا موافق يا سيتي إني أنقذك كل دقيقة بس تضحكي الضحكة دي!".

توقفت "صابرين" عن الضحك ونظرت له بجدية

- "إنت عايز ايه؟".

"هيثم" وهو يرفع يده وبها أوراق: "كنت عايز أَدِّيكي ده يا ستي..

إنتي مش كنتي عايزة ورق المحاضرات اللي فاتتك أهي هي دي".

أخذتهم "صابرين" ثم نظرت اليه وبإبتسامة شكرته: "شكرًا بجد".

"هيثم": "ايه دة؟ إنتى إبتسمتي تاني دا أنا أكيد ربنا بيحبني بقى علشان شوفتك بتبتسمي مرتين!".

تركته "صابرين" وإبتعدت

- "خلاص يا بنتي أنا أسف".

إن الحب كاللعنة لاتتركك إلا وقد فارقت عالمك

لتصبح في عالم آخر، عالمٍ لا يدخله أحدٌ سوى حبيبك

لتصبح كالسجين الذي لا أمل بتحريره، فتحيط بك سلاسلُ من المشاعر..

سلاسلُ قد صنعتها أنت. ولكنّك لا تستطيع أن تحطّمها بنفسك فهي مصنوعة منك..

لو تحطمت لتحطَّمتَ أنت أيضًا!

كيف لقلبي الطاهر الذي رفض أن يدنس نفسه بحب أحد غيرك

أن يحب هذا القلب الذي أشبعته الخطايا؟!

تلك الكلمات التي تقرأها "صابرين" وهي تطالع أحد الكتب في (كافتيريا الجامعة)

ها هي تجلس مع "هيثم" و"فارس" و"نسمة" بعد إلحاحٍ طويل من "هيثم"

هي لا تعلم حَتَّى الآن لماذا "هيثم" يعاملها هكذا؟ فهو لم يراها سوى بضعة مرات ولٰكِنَّها قررت فِالنهاية الإستسلام لثرثرته التي لا تنتهي!

أما "فارس" فقد كان يجلس هو و"نسمة"... كان ينظرل"صابرين" وتارة ل"هيثم"... نظرات "هيثم" ل"صابرين" لا تعجبه..

فما هذا البريق الذي في عينيه فهو يشبه العاشق الولهان المتيم بحبيبته!!

- "هو بيبصّلها كده ليه؟ وهي جت معاه ليه هي مش عارفة إني جوزها ولا إيه؟!".

إنها المرة الأولى الذي يعترف فيها "فارس" بأن "صابرين" زوجته و"نسمة" تنظرل"صابرين" بإشمئزاز!!

"يا لها من فتاةٍ سمراء وقبيحة! فعلا "هيثم" لم يحسن الإختيار".

و"هيثم" ينظرل"صابرين" التي كانت تنظرفي الكتاب كي لا تلتقي عيناها بأعين "فارس"الذي يجلس بجانب "نسمة" ممسكًا بيدها..

"هيثم": "إنتي بتقري في إيه يا "صابرين"؟

نظرت اليه "صابرين": "دي رواية بقراها".

- "طب وصلتي لحد فين؟".

نظرت "صابرين" إلى ذلك الكتاب مرةً أخري وهي تقرأ تلك الكلمات الأخيرة التي وقعت عليها عيناها...

"هل لمعذِّبي أن يرحمني؛ فما أقسى العذاب بجوارك! فماذا جنيت حين أحببتك!"

إزدادت أعين "هيثم" بريقًا وإزدادت أعين "فارس" غضبا!

أما "نسمة" فإكتفت برفع حاجبيها وهي لم تفهم ما قالته "صابرين"...

"هيثم": "عذابي قد تخطى السماء والأرض وقلبي بحبك قد أمضى علي...

نظرت "صابرين" له لتراه ينظر اليها بتمعّن...أسرعت بالنهوض من مكانها..

- "أنا همشي علشان إتاخرت".

أسرعت بالمشي دون أن تسمع جوابهم...

"هو مجنون؟ أكيد مجنون!".

تلك الكلمة التي قالتها "صابرين" بدون وعيٍ

فَلِمَ قال ذلك ولماذا كان ينظر إليها هكذا؟...لم تستطع "صابرين" تفسير ذلك

أيمكن ان يكون قدْ أحبَّها؟ لم تكن تلك الفكرة معقولةً بالنسبة ل"صابرين"

فهو وسيمٌ ومَرِحٌ وذو شخصية خلّابة فعلى ماذا سيحبها؟ وغير ذلك لا يمكنها

أن تفكر بذلك فهي إمرأة متزوجة ولا يمكنها أن تفكر هكذا أبدًا...

ألقتْ "صابرين" بكل شكوكها، وإنطلقت إلى المنزل!

بعد أن عادت إلى المنزل بدّلت "صابرين" ملابسها ودخلت إلى المطبخ

بدأت في تحضير الغداء ل"فارس"...

- "أكيد "فارس" لما ييجي هيبقى جعان.... لازم أخلّص الغدا قبل ما ييجي...

ها هو يجتاح أفكارها مرة أخرى! في الحقيقة هو لم يفارق أفكارها قطّ...

لا أعلم كيف تستطيع أن تراه مع أخرى وتتحكم في أعصابها هكذا وتظل

تحبه؟! كيف تراه يتغزّل بأخرى وتظل تحبه؟!

كيف تراه يتجاهلها وتظل أيضًا تحبه؟!

هاهو صوت الباب يفتح... خطوات أقدامه تقترب من المطبخ.. ليظهر أمام "صابرين"... خلاص الغدا قَرَّبْ يجهز... تلك العينان لا تبشران بالخير!

- "إيه اللي كنتي بتعمليه مع "هيثم" ده يا"هانم"؟

- "أنا...؟". "ولا حاجة دا زميلي".

تلك العينان إزدات غضبًا...

- "إنتي يا "هانم" مش عارفة إنك متجوزة؟ إزّايْ تِمْشِي مع واحد غريب كده زي ما أكون مش موجود!".

تلك النبرة العالية التي إستخدمها "فارس" في كلامه ويديه التي يحركها بطريقة عشوائية وبينما كان يحرك يديه حَتَّى أطاح بالطبق الزجاجي! فإنكسر وجرحت يده وبدأت تدمي... هرعت "صابرين" اليه بفزع وأمسكت يده...

- "إنت مجنون!".

أسرعت "صابرين" بوضع يده تحت الماء

- "إنت مجنون؟" أعمل إيه يا ربي دلوقتي؟".

نظر "فارس" إلى "صابرين" بإستغراب... فهي تبدو مرعوبة وهي تمسك يده كما لو كانت يدها هي... "بتخاف عليّا أوى كده؟".

هذا ما شعر بيه "فارس"... ما أجمل هذا الإحساس أن تشعر بأن شخصًا مهتمًا بك، يقلق عليك، يعتني بك كأنك طفل صغير... شعر "فارس" بهذا الإحساس لوهلةٍ! عيناه كانت تنظران ل"صابرين"...

ولكن هذا غريب فلأول مرة يرى "فارس" "صابرين" بصورةٍ أخرى

فما أجمل بشرتها السمراء! وشعرها الأسود الطويل! ما أجمل وجنتيها!

وما أجمل عينيها! تلك العينين الواسعتين!

- "هيّ حلوة أوي إنَّهارْدَه كده ليه؟"

لم يرها "فارس" بهذا الجمال من قبل... إستفاق من شروده على صوت "صابرين"...

- "خليك هنا أنا هجيب شاش وقطن بسرعة".

إنطلقت مسرعة وبعد لحظات جاءت وفي يدها "شاش وقطن" ، بعد أن توقف الدم عن النزول... بدأت بلف يديه جيدا....

- "كدة تمام أوي!".

نظرت اليه "صابرين" لتجده ينظر اليها

- متسائلة: "فيه حاجة؟".

أسرع "فارس" بإبعاد عينيه عنها..

- "أنا..... أنا داخل أُوضتي".

تركها "فارس" ودخل غرفته... أما "صابرين" فأخذت بتنظيف الأرض من الزجاج المكسور... بعد أن إنتهت..

أكملت ما كانت تفعله في البداية وبعد أن إنتهت من تحضير الطعام؛ ذهبت لتخبر "فارس" أن الطعام أصبح جاهزًا. في الغرفة يجلس "فارس" وهو يمسك الكتاب..يحاول أن يركّز في الكتاب ولكن دون جدوى...

- "إيه اللي بيحصلّي مش معقولة كده! ركّز يا "فارس" أبوس إيدك ركّز".

نظر مرةً أخرى في الكتاب حَتَّى سمع طرق الباب:

- "فارس" يلّا الغدا جاهز". لقد عاد ذلك الإحساس مرةً أخرى...

- "يا ليلتك السودة يا "فارس"! شكلك إتجننت وانت لسة في عز شبابك

- "صابرين": "بتقول حاجة يا "فارس"؟

- "أنا جاي جاي".

ترك "فارس" الكتاب وخرج من غرفته.. جلسوا على السفرة. بدأت "صابرين" بالأكل.. أما "فارس" فقد كان يأكل تارةً وينظر إلى "صابرين" تارة

"أنا مجنون بلا شك!" عقلُه لا يصدّق أنه يكن مشاعر لها!

"أنظر اليها فهي ليست جميلة لقد كنت أتوهم فقط"

في هذه اللحظة... كان شعر "صابرين" يضايقها فهي لا تستطيع الأكل بسببه مسكت شعرها وبدأت بربطه إلى الخلف.. وعينا "فارس" تتابعها وهي تربط شعرها إلى الخلف... وترفضان أن تبتعدا عنها.. وبعد أن إنتهت "صابرين" نظرت اليه لتراه ينظر اليها.. بمجرد أن التقت أعينهما حَتَّى أخفض "فارس" نظره.. لا زالت "صابرين" لم تفهم ماذا يحدث فقد ظنّت أنه غاضب منها.. بعد أن إنتهي "فارس" من الأكل..ذهب إلى غرفته.. أمضت "صابرين" هذا اليوم في المذاكرة فقد أرادت أن تعوّض ما فاتها..

أما "فارس" فقد أمضاه وهو ينظر إلى الحائط.. أعتقد أنه والحائط أصبحا أصدقاء! لقد أوشك "فارس" على الجنون فماذا يحدث معه؟!

في اليوم التالي

إرتدي "فارس" ملابسه حَتَّى يذهب للجامعة، وبعد أن إنتهي خرج من غرفته... لقد كانت "صابرين" تجهّز نفسها أيضًا للذهاب الى الجامعة...دار صراع كبير بين عقله وقلبه... ماذا يفعل أينتظرها أم يذهب؟ وفي وسط هذا الصراع... سمع صوت الباب يفتح.. لقد خرجت "صابرين" نظرت اليه لتجده ينظر للحائط... تركته...وذهبت ، حَتَّى أوقفها "فارس"

"فارس" بتردد: "صابرين" إستني أنا هوصلك".

أنا أسيرك..

سجنت نفسي في قلبك وألقيتُ مفاتيحَه في ظُلُمات الأراضين السابعة فماذا أنتي فاعلة. أؤمريني لأجوبَ البحارَ السبع باحثًا عن لؤلؤتك الثمينة.. لأجوب غابات الدنيا حَتَّى أجد زهورك المفضلة.. أتركيني بجانبك، فأنتي الهواء الذى أتنفسه.. نعم أنتي هوائي أنا، فإن إضطررتُ سأقتل من على الأرض جميعا حَتَّى أتنفسك أنا وحدي! فماذا أنتي فاعلة بي؟ فأنا قد أصبحت مجنونك!

سطورٌ قليلة قرأها "فارس" من عدة سنوات في رواية... وقتها إعتلت وجهه إبتسامة ساخرة بعد قراءة هذه السطور... لم يؤمن "فارس" قطّ بالحب! لٰكِنَّها خطرت على باله اليوم في هذه اللحظة... وهو أمام "صابرين" التي تنظر اليه... لقد طلب منها أن يوصلها..

ولكن "صابرين" لم يعجبها هذا الإقتراح فهي تتذكر المرة التي طلب منها أن يوصلها وإنتهت بدموعها التي تساقطت من عينيها.. نظرت اليه وهي على إستعداد للرفض ولٰكِنَّها لم تستطع.. فهي فقط لا تستطيع رفض شَيْء يطلبه "فارس"...

"صابرين": "ماشي".

ركب "فارس" و"صابرين" السيارة وإنطلقا... تمر دقائق وهما لا ينطقان شيئًا.. هما يكادان لا يتنفسان..

"فارس" الذي كان ينظر للطريق ثم يلتفت ليرى "صابرين" في نظرة خاطفة و"صابرين" التي كانت فقط جالسة تنظر للكتاب.. حسنًا ، هي لم تقرأ كلمةً واحدةً منذ أن ركبت السيارة؛ فهي تعجز عن التركيز في وجود "فارس"..

لقد إقتربا من الجامعة؛ إنتظرت "صابرين" لترى (السيناريو) يعيد نفسه مرةً أخرى... ستقف السيارة قبل الجامعة ببضع مترات وتخرج "صابرين"...ولكن هذا لم يحدث فقد توقفت السيارة أمام الجامعة... نظرات التعجب التي كانت تنظر بها "صابرين" ل"فارس"..."فارس" أيضًا لم يفهم لماذا لم يتوقف... خرج "فارس" و"صابرين" ليتفاجئا ب"نسمة" و"هيثم"..

عينان متسعتان مليئتان بالدهشة والغرابة بالإضافة إلى الكثير من الأسئلة

إقتربت "نسمة" من "فارس":

- "أنت و"صابرين" بتعملوا إيه مع بعض؟".

نظر"فارس" إليها في ثبات لم يستطع أن يجد مهربًا واحدًا...

حَتَّى سبقته "صابرين" بالكلام:

- "ولا حاجة أنا كنت مستنية الباص ومجاش وفضلت قاعدة كتير فكان "فارس" معدي بالعربية... لما شافني أخدني معاه مش أكتر".

لم يكن أمام "صابرين" سوى هذا الحل "مغفلةً" تلك الكلمة التي ظل عقلها يرددها... وهي تتركهم وتدخل الجامعة.

لحقها "هيثم" في هدوء...

- "على فكرة لو كنتي رنيتي عليا كنت جتلك في ثانية!".

- "شكرا يا "هيثم".

- "بس أنا بتكلم بجد".

عينا "فارس" تترصدهما... يحاول قراءة شفيهما... ماذا يقولان؟

- "طب أنا هدخل علشان المحاضرة يا"هيثم" دِلْوَقْتِي".

تركته وذهبت ليمسكها "هيثم" من يدها.. لم يستطيع "فارس" تحمل الموقف هرع إليهم... أمسك بمعصم "هيثم" وشده ليترك "صابرين"...

- "فارس" إنت بتعمل إيه؟".

- "يابني إتاخرنا على المحاضرة يلّا!".

- "طب إستني طيب".

- "ياعم إتاخرنا".

وأخذ "فارس" بشد يده للذهاب... نظر"هيثم" ل"صابرين":

- "كنت هقولك يلّا نشرب قهوة بس زى ما إنتي شايفة..أشوفك بعد المحاضرة".

إنتهت المحاضرة...

ها هي "صابرين" تجوب في أرجاء الجامعة لا تدري ماذا تفعل...لديها محاضرة أخرى ولكن بعد ساعتين لا تدري أتذهب أم تبقى ..لا تريد أن تذهب وفي نفس الوقت لا تريد أن تبقى وتقابل "هيثم" بالصدفة.. لذلك قررت أن تبتعد عن الكافيتريا. أرادت مكان لن يجدها فيه "هيثم" ولو حَتَّى بالصدفة. إنها المكتبة أسرعت "صابرين" إليها قبل أن يلحقها كالعادة.. لقد قاربت على الوصول للمكتبة ولٰكِنَّها سمعت صوتًا مألوفًا إنه صوت "فارس"..

يبدو أنه فى المكتبة، أرادت الرجوع ولكن فضولها جعلها تقترب أكثرلتسمع ما يقول:

"فارس" بسخرية: "يابني إنت بتقول إيه؟ أنا عمري ما هَفَكَّرْأبصّ لواحدة زي "صابرين" دي!! أنت مش شايف شكلها ولا إيه؟ دي إخرها تبقى الخدّامة اللي هجيبها لمراتي!".

"صابرين" تسمع ماسمعت ولم تصدق وقدميها تخطو خطوة وترجع للوراء خطوات.. ما أثقل قدميها في تلك اللحظة!..تريد الهرب من العالم أجمع...تريد الهرب ولكن إلى أين؟

- خلاص كل حاجة إنتهت...

لم تتوقع "صابرين" أن تقول هذا..لقد كسر ما تبقى من الأمل بداخلها لقد إستلسمت في النهاية! ها هي تذهب للمنزل... كأن سكاكين قد قطعتها لأجزاء... قلبها يدمي. أما عقلها فيؤنّبها على تجاهله كل تلك الفترة

- "ماذا حدث لكل هذه المحادثة؟".

بعد أن انتهى "فارس" و"هيثم" من المحاضرة، إنطلقا إلى المكتبة لإحضار بعض الكتب... بعد أن دخلا المكتبة بدأوا بالبحث عن الكتب

- "بقولك إيه يا"فارس" أنا نصّ ساعة وجاي".

- "رايح فين قولي؟".

إبتسم "هيثم" في خجل:

- "هروح أشوف "صابرين" وجاي".

إشتعل "فارس" غيظًا:

- "هتروح تشوفها ليه؟".

- "فيه إيه يا جدع؟ أقولك بصراحة أنا نفسي، مش عارف مالي بس أنا بجد بحب أشوفها! أول مرة تحصل معايا إني أتشد لحد كده عينيها فيها حاجة غريبة زي عيون الاطفال.. ولا ضحكتها وهي مكسوفة!".

لو زاد "هيثم" بكلمةٍ أخرى لأرداه "فارس" قتيلا!

لاحظ "هيثم" نظرتَه الحادة الغاضبة التي كادت أن تحرقه:

- "يعني بذمتك يا"فارس" إنت مشوفتش ضحكتها؟".

قاطعه "فارس" بغضب:

- "إنت بتقول إيه؟ أنا عمرى ما هَفَكّرْ أبصّ لواحدة زى "صابرين" دي؛ أنت مش شايف شكلها ولا إيه دي أخرها تبقى الخدامة اللي هاجيبها لمراتي!".

تحولت نظرات "هيثم" للغضب.. ثم بدأ بالإبتسامة مرة أخرى...

- "إيه ده؟ أنا إتعصبت..."فارس" الحقني.. أنا شكلي بحبها!".

لم يشعر"فارس" بنفسه الا وهو يمسك "هيثم" من لياقته بعنف

"أسكت..مش عايزك تتكلم عنها تاني وإلا هتخسرني

لقد إرتفع صوته مما جعل (أمين المكتبة) يخرجهما منها

ترك "فارس" "هيثم" في غضب... بينما "هيثم" يحاول فهم ما حدث...لماذا فعل "فارس" ذلك؟ لكنه لم يصل لجواب!

ركب "فارس" سيارته وإنطلق بأقصي سرعته.. عندما يتذكر كلمات "هيثم" يزداد غضبه... ها هو يزيد السرعة مرة أخرى.... ثم أوقف السيارة مرةً واحدة لتصدر صوت أثر احتكاك إطاراتها بالطريق... بدأ بالصراخ...

- "انتي عملتيلي إيه..قوليلي أنا زى المجنون هنا؟ أنا بكرهك إنتي فاهمة!! بكرهك!! وإنطلقت صرخة أخرى!".

لقد هدأت أعصابه...إنه يُتَمْتِمُ ببعض الكلمات البسيطة

- "لا أنا مش بكرهك..أنا أسف يا "صابرين".

قاد سيارته مرةً أخرى وعاد للمنزل..

"صابرين" تجلس في غرفتِها كالشبح! لقد توقّفتْ عن البكاء...وقفت أمام المرآة...ونظرت إلى نفسها

- "أيوه ده أنا!! أنا المفروض أكون الخدامة بتاعة مراته...

خانتها قدماها هذه المرة...لتجلس على الأرض وتنظر إلى الأعلى

- "(ماما) .. (بابا) ... أنا خايفة أوي.. خايفة مقدرش أعيش من غيره..بس أنا مش قادرة أعيش معاه!".

كم هو معقد هذا الحب!! البعد..أو البقاء..هل هو خيار سهل!!

ببساطة: لا.. إنه يشبه أن تعطي مريض السرطان الخيار بأن يبقى على قيد الحياة ويظلّ يتألم من مرضه حَتَّى يشفى أو يموت...

وصل "فارس" المنزل وفتح الباب.. توقف أمام غرفة "صابرين" فهو يظن إنها في الجامعة...اقترب من الباب ووضع يده على الباب.. ليسمع صوت فتح الباب.. إبتعد بسرعة...ثم خرجت "صابرين" من الغرفة حَتَّى تقول ل"فارس" القرار الذي إتخذته

بمجرد أن رأها "فارس" حَتَّى عقد لسانه ولم يستطع التكلم:

- "أنا...إنتي مش عندك محاضرة؟".

- "أنا عايزه اتكلم معاك في موضوع".

إستغرب "فارس" من طريقة كلامها فهو معتاد على طريقتها الخجلة في الكلام... ولٰكِنَّها كانت تتكلم ببرودٍ لم يسبق له مثيل...

- "موضوع ايه؟".

- "أنا عايزة أتطلق!".

لَمْ يُصَدِّقْ ما سمعته أذناه...في البداية يحاول استيعاب ما قالت:

- "إيه؟؟"

صمتتْ "صابرين" للحظة ثم عاودتْ الطلب مرةً أخرى...

- "بقولك أنا عايزة أتطلق؛ أنا هكلم عمو وهقوله إني انا اللي مش عايزة أكمّل!".

لم يستطع "فارس" الإجابة فماذا سيقول.. "لا تتركيني؟".

ولٰكِنَّها ستتساءل عن السبب!!

ساد الصمت بينهما فلم يتكلم "فارس" و"صابرين" منتظرةٌ جوابه..

- "خلاص...مدام إنت ساكت يبقى موافق".

تركها "فارس" وذهب لغرفته... أما "صابرين" فعادت لغرفتها وعينيها تفيضان بالدمع... ولٰكِنَّها في هذه اللحظة قررت أنها لن تبكي لأجله مرةً أخرى..

لقد ذرفتْ الكثيرَ من الدموع لأجله...ولكن هذا يكفي!

مسحت دموعها وإرتمت على السرير.. تنظر فقط لسقف غرفتها كأنها تنظر للنجوم فالسماء أو الغيوم، لم تفكر في شَيْءٍ لقد كانت فقط تنظر...

أما "فارس" فقد عاد إلى غرفته لا يعلم ما قد حدث حَتَّى تطلب الطلاق يعيد إرجاع (السيناريو)...ليجد...كم أهانها! وكم جرحها! كم تحملته!

وكم داست على قلبها لأجله! دمعة تنزل من عينه...يمسحها بيده بإستغراب!!

- "إيه دى هو أنا ببكي ليه؟ هو أنا ممكن أكون...لالالا مش معقولة

وبعدين إنت زعلان ليه ماهي هتمشي وهتتجوز إنت "نسمة" بقى زعلان ليه دِلْوَقْتِي؟".

نظر للأرض بحزن ثم قال بيأس: "هتمشي؟ يعني هتسبني خلاص؟

رقد على السرير وأغمض عينيه.. ها هي في خياله.. يفتح عينيه مرةً أخرى ثم ينظر لسقف الغرفة هو الآخر .. إلى أن استسلمت عيناه للنوم..

أحلامٌ كثيرة كان يحلُم بها كانت كلها تدور عن شَيْءٍ واحد فقط هو"صابرين".

إستيقظ "فارس" في الصباح...خرج من الغرفة ولكن غرفة "صابرين" فارغة!

اليوم ليس هناك جامعة أين هي؟ بدأ يبحث عنها هنا وهناك ولكنه...لم يجدها كأنه كالطفل الصغير الذي يبحث عن أمّه... حَتَّى سمع فتح الباب...هرع إليه ليجدها..

"فارس" تنفس الصعداء في إرتياح كأنّ جبلًا كبيرًا قد أُزيح من على صدره

- "كنتي فين؟".

و"صابرين" ترد ببرودٍ شديد كأنها تعيش في ثلاجة... ولٰكِنَّها تحاول حَتَّى لا تبكي أمامه..

- "روحت أجيب الفطار وجيت".

- "طب أدخلي".

في هذه اللحظة قَرَّرَ "فارس" أنه لن يستطيع أن يعيش بلا "صابرين" بعد الأن!

قَرَّرَ أن يخبرها بأن لا تتركه وتذهب بأن تبقى معه...

إرتدي ملابسه وخرج من المنزل.. قَرَّرَ أن يصنع لها مفاجأة.. ذهب إلى (محل الورود) وقرّر أن يشتري أجمل الورود الموجودة هناك.. ثم ذهب بعد ذلك إلى (أفخم أنواع المطاعم) ليحجز بها مقعدين.. وبعد أن تم تجهيز كل شَيْء قرر العودة إلى البيت ليفاجأها إنطلق بسرعةٍ يريد أن يسرع إليها...لقد اقترب بمجرد أن أوقف سيارته... حَتَّى إنطلق مسرعا إلى البيت...رنَّ الجرس...فلم يرد أحد فتح الباب ولكن لم يكن هناك أحد

ركب سيارته وبدأ بالبحث عنها... يجوب الشوارع في أمل أن يراها هناك

ها هو بسيارته يمشي في جميع الأماكن ينظر يمينًا وشمالًا.. حَتَّى وجدها...

أوقف السيارة بسرعة وذهب إليها ولٰكِنَّها لم تكن وحدها بل كان "هيثم" معها.. اقترب "هيثم" منها و"فارس" يسمعهم..

- "صابرين"، أنا بحبك!".

- "وأنا كمان يا"هيثم" بحبك!".

لم يستطع "فارس" سماع المزيد وأسرع إلى السيارة.. ألقى الورود بكل قوته وإنطلق بسيارته... أصبحت ألوان الدنيا باهتةً في نظره.. للمرة الثانية يشعر بإحساس غريبٍ لم يشعر به من قبل... إحساس يعتصر قلبه من الألم...

أوقف السيارة ووضع يدَه على قلبه... كأنّه تحطم لقطع صغيرةٍ...

انطلقتْ منه بعض الكلمات في غضبْ...

_ "إنتى عايزة مني إيه؟.....". "لما إنتي مش بتحبيني وافقتي تتجوزيني ليه ؟

مش إنتي عايزة تسبيني خلاص روحي أنا مش عايزك".

أدار السيارة مرةً أخرى وانطلق بأقصي سرعته إلى وجهه غير معلومة...

عودة للوراء...

كانت "صابرين" في غرفتِها تحاول النوم ولكن (الكوابيس) لا تفارقها فتارةً تحلم بأنها تركت "فارس" وأنها لن تراه مرةً أخرى ، وتارةً تحلم أن "فارس" قد تزوج "نسمة" وأنها قد أصبحت خادمتهم، وظلت تحلم بتلك الكوابيس حَتَّى إستيقظت على صوت هاتفها .. نظرت في الهاتف لتجده (رقم مجهول):

"صابرين": "الو...مين معايا؟".

"صابرين" بتفاجؤ: "هيثم"؟

- "نعم".

- " أنت جبت الرقم دا منين!".

- "عملت إتصالاتي يابنتي أنا هيرو...إنتي متعرفيش أنا مُهِمّ أد إيه فالبلد دي!".

- "طب إيه فيه حاجة؟".

- "إمممممم عايز إقابلك".

- "سلام يا "هيثم".

- "إستني إستني بس".

- "فيه إيه يا"هيثم"؟

- "يا بنتي أنا عايز الورق إلّي إديتهولك وغيركده أنا معايا ورق المحاضرة إلّي فاتتك".

- "خلاص بكرة أديهولك".

- "لا أنا عايزهم إِنَّهارْدَه ضروري ماشي؟هبعتلك رسالة بالمكان اللي هقابلك فيه ماشي سلام".

وأسرع بإغلاق الهاتف.. نظرت "صابرين" للهاتف بتفاجؤٍ فهي لم تصدق ما حدث... لتأتيها رسالة بعدها بعدة دقائق.. لم تعلم "صابرين" ماذا تفعل أتذهب أم لا.. قررت في البداية أنها لن تذهب ولكن مع تأنيب ضميرها المتواصل.. بدلت ملابسها وذهبت إليه.. بمجرد أن وصلت هناك كان "هيثم" ينتظرها.. إقترب منها ومدّ يده إليها... لتضع "صابرين" الأوراق في يده:

- "آدي يا سيدي الأوراق إلّي أنت عايزهم يلا سلام".

- "إستني إنتي رايحة فين؟".

- "ماشية".

- "طب مش هتشربي حاجة؟".

- "لا شكرًا".

- "طب إستني شوية".

- "هيثم" لو عايز تقول حاجة قولها".

- "بصّي أنا هقولك حاجة...إنتي هتتفاجئي فالاول وهتتصدمي ويمكن

متصدقنيش بقى ويقلب فيلم هندي".

قاطعته "صابرين": "يابني انجز".

أسرع "هيثم" بتلقائية: "أنا بحبّك!".

نظرت له "صابرين" للحظات ثم أجابته: "وانا كمان!".

إبتسامة عريضة تعلو وجه "هيثم" قبل أن تكمل "صابرين" كلامها: "أنا بحبك بس زي أخويا مش أكتر".

إختفت الإبتسامة من وجهه: "إنتي بتحبي حد تاني؟".

"صابرين": "دي حاجة تخصني أنا..أنا همشي علشان إتاخرت".

تركته وذهبت لتسمعه يقول بأعلي صوته: "بس أنا مش هستسلم...إنتي متعرفيش أنا قد إيه عنيد... أكيد هخليكي تحبيني وهتشوفي!".

أكملت "صابرين" طريقها دون أن تنظر إليه لتعود إلى المنزل

يقف "فارس" عند أحد الابواب ويبدأ برنّ الجرس حَتَّى فتح الباب

"نسمة": "فارس"؟

- "ينفع أدخل؟".

- "أُدخل يا حبيبي".

"نسمة" تعيش وحيدةً بعيدة عن والديها فهي لديها أفكار متحررة للغاية!

دخل "فارس" البيت وجلس على الأريكة... نظرت له "نسمة" بإستغراب...فهو لم يزورها من قبل وفي هذا الوقت من الليل..

- "فيه حاجة يا "فارس"؟

- "ويسكي !! عندك ويسكي؟".

- "أه فيه".

- "طب هاتيلي كاس".

ليس من عادة "فارس" الشرب فرغم جميع خصاله التي لا تطاق إلّا أنه في النهاية لا يشرب!". ولكن ليس اليوم...فقد شرب الكأس تلو الآخر...حَتَّى غاب عقله... و"نسمة" تنظر إليه بإستغراب..

- "عايز كاس تاني؟".

نظر لها "فارس"... ووضع يده على رقبتها وشدها إليه ليقبلها..

لقد ظن "فارس" أن أفضل حل لمشكلته هو أن يخون "صابرين" كما خانته!

لقد ظن أن هذا هو عقابها الوحيد..

الخيانة.

في الصباح

إستفاق "فارس" من نومه ينظر بجانبه ليجد "نسمة" نائمة بجواره...
لم يستطع "فارس" تصديق ما حدث.. "هل حدث هذا حقًّا؟!".
تذكر "فارس" "صابرين"..لقد خانها ... لقد قبل على نفسه أن تلمسه إمرأة غيرها... ليتذكر ما حدث بالأمس... تذكر ما قاله "هيثم" و"صابرين"... تذكره عندما جاء ل"نسمة" وتذكر لماذا فعل ذلك... لأنه يريد أن يعاقب "صابرين"... أسرع "فارس" بإرتداء ملابسه... لتستيقظ "نسمة" في تلك اللحظة:

- "أنت رايح فين يا حبيبي؟".

نظر "فارس" إليها بغضب..

"إنتى إزّايْ وافقتي إن دا يحصل بيني وبينك؟".

"نسمة" بدلع وتغنج: "مش إحنا بنحب بعض يا حبيبي يبقي عادي!".

- "أحب أقولك يا "هانم" إني متجوّز".

نظرت له "نسمة" بغضب: "يعني إيه؟..بُصّ يا "فارس" إللّي حصل إمبارح

إنت اللي إبتديت فيه إنت فاهم..ومين دي اللي إنت متجوزها؟ قولي!

- "تحبي تعرفي يا"هانم"؟ أنا قُولك..مراتي تبقى "صابرين"!

- "إيه "صابرين"؟..وإنت هتقارنّي بالفلاحة دي؟".

- "إسكُتي خالص، وبعدين متخافيش أوي، أنا وهي هنسيب بعض".

ثم تركها وخرج من المنزل...يمشي كالضائع لا يعلم ماذا يفعل إلى أين يذهب وبمن يستنجد ... حَتَّى سمع صوت هاتفه يرن.. إنه "هيثم".

لم يرد "فارس" ولكن بعد ١٠ محاولات من "هيثم" رد عليه "فارس" في النهاية...

"هيثم": "إنت فين؟".

- "عايز إيه؟".

- "عايزك فموضوع؛ أنا مخنوق وعايزحد معايا".

- "أنا مش فاضي إِنَّهارْدَه!".

- "بقولك أنا مخنوق ياجدع وعايزك ضرورى تعالى الكافتيريا اللي بنقعد فيها على طول".

أغلق "فارس" الهاتف... قرّر الذهاب إلى هناك برغم أنه يريد قتل "هيثم" ولكنه أيضًا ليس أفضل منه بل أسوأ! ... أخذ عَرَبِيّته وذهب...

بعد أن وصل هناك كان "هيثم" يشرب كوبا من القهوة..

جلس "فارس" بجانبه وطلب كوبا من القهوة أيضًا..

- "أنت أخيرا جيت".

نظر إليه "هيثم" ليره غارقا في حزنه فهو لم يره حزينا هكذا من قبل

- "فيه إيه؟".

- "مش عارف أعمل إيه أنا شكلي بحبها أوي".

كم يتمنى "فارس" أن يصرخ بوجهه ويقول له أنها له فقط ولا يحق لأحد أن يحبها غيره! ... لا يحق لأحد أن ينظر إليها غيره ولكن لا يستطيع؛ فقد إختارته "صابرين" رغم كل شَيْء وقد أذاها بما يكفي!

نهض "فارس" من الكرسي: "أنا لازم أمشي".

تابع "هيثم" كلامه كأنه لم يسمعه: "إمبارح قابلتها وقلتلها إني بحبها وقالتلي أنها بتحبني!".

لم يستطع "فارس" التحمّل وتركه وذهب لتوقفه آخر كلامات "هيثم" قالتلي أنها بتحبني بس زي أخوها..أنا مش عارف أعمل إيه!".

نهض "هيثم" هو الآخر وذهب... تاركًا "فارس" في صدمته...

كم أفرحته هذه الكلمات وكم أحزنته أيضًا!

جلس على الكرسي وهو يتذكرها... يتذكر إبتسامتها وخجلها...يتذكر خوفها عليه...ويتذكر إعتنائها به ... إستجمع قوته وبدأ بالجري...أراد رؤيتها بشدة... في هذه اللحظة يريد رؤيتها...يريد أن يرى عينيها تلمعان له فقط! يريد أن يرى وجنتيها تحمران خجلا لأجله فقط! ... ها هو يقترب من المنزل خطوة تسبق الأخرى... حَتَّى وصل للمنزل..

أخذ بطرق الباب بقوة لدرجة أنه كاد أن يقتلعه...

لتفتح له "صابرين" بإستغراب... بمجرد إن وجدها أمامه؛ إحتضنها يداه تضماها بشدها... يريد أن يبقي هكذا إلى الأبد... إنّها الجنة! إنّها الجنة بلا شك"

قلبه الذي قد أدمنها! .. وعقلُه الذي قد تشرّبها حَتَّى الإمتلاء...

أما جسدُه فقد عشق كل تفاصيلِها... كأنّها قد خلقت خصيصًا له.

أما "صابرين" فلم يستطع عقلها تجميع أي شَيْء لا تعلم أهذا أحد أحلامها أم هي حقيقة.. حَتَّى بدأ "فارس" بالكلام

- "أنا بحبك...إنتي سمعاني يا "صابرين" أنا بحببببببببك!".

دقات قلبها تتسارع... جسدها يرتجف.. ووجها قد احمر خجلًا...

أكمل "فارس" كلامه: "خليكي جنبي متسبنيش...أنا أسف يا"صابرين" أنا أسف! سامحيني...

نظر لها "فارس" ليراها تنظر في الأرض خجلًا...

- "صابرين"...بصيلي..

نظرت له "صابرين"...

- "إنتي بتحبيني؟".

هزت "صابرين" رأسها بالقبول...

- "طب قوليها".

"صابرين" بخجل: أنا...بحبك!".

احتضنها "فارس" مرةً أخرى: "وأنا كمان بموت فيكي"

تذكر "فارس" ما حدث بالأمس...ماذا يفعل؟ لا يستطيع "فارس" أن يخسرها مرةً أخرى...

- "صابرين" إحنا لازم نمشي من هنا...لازم نروح البلد

- "طب والجامعة؟".

- "مش لازم الجامعة".

- "طب ليه؟".

- "إنتي مش بتحبيني...يبقى إسمعي كلامي".

"جهّزي الشنط وأنا هروح أملي العربية بنزين وأجي بسرعة".

- "حاضر".

قبّلها "فارس" قبلةً على خدها وتركها وذهب...لقد تذكر أنه نسي سيارته عند الكافتيريا.. أوقف تاكسي وذهب إلى الكافتيريا.. أخذ سيارته ليحضر بعض البنزين ليذهب إلى بلدته.. ماذا يفعل؟! برغم أن ضميره يؤنبه...ولكنه لا يستطيع أن يخبرها لأنّه لو أخبرها ستتركه وتذهب! ... لقد قَرَّرَ أنه سيكون وفيًّا لها إلى أن يموت...سيكون خيرزوج ... لن تكون حزينة معه مهما حدث... سيعوضها عن والديها...سيكون هو عالمها.

بعد أن إنتهى...أسرع إلى المنزل فقد إشتاق اليها

هاهو أمام المنزل... أخرج المفاتيح ليفتح الباب وبعد أن دخل كانت "صابرين" تجلس على الأريكة... إبتسامته تعتلي وجهه...ولكن سرعان ما إختفت

لقد كانت "نسمة" تجلس بجانبها!

نظرل"نسمة" ليراها تنظر إليه...وتبتسم ... نهضت "صابرين" من على الأريكة...وإقتربت منه ،، عيناها الدامعتان كالسكاكين تقطعان قلبه.. لم يستطع إحتمال رؤيتها تتقطع!

- "صابرين" أنا.....

قاطعته: "هششششش" أنا عايزة أسمع كلمة واحدة بس: "فارس" إنت خونتني؟".

عجزلسانه عن الكلام؛ فلو أجاب ستتركه "صابرين"...

نظرت له "صابرين" مرةً أخرى والدموع تتساقط من عينيها:

- "قولي يا "فارس" إنت خنتني؟".

قَرَّرَ "فارس" أن يصارحَها

"فارس": "أيوه...أنا آسف يا "صابرين" سامحيني.

بعد أن علمت "صابرين" بخيانة "فارس"...تركته وعادت للبلدة، ليعود ورائها ولكن الأوان قد فات...فقد قررت في ذلك الوقت أن تتركه للأبد.... كم رفض "فارس" هذه الفكرة وكم توسلها لتبقى معه ولكن لم يكن هناك جدوى من ذلك!

لم تخبر"صابرين" والدي "فارس" بأي شَيْء ولكن والده كان يعلم أن "فارس" ليس بالشخص الجيد وأنه أساء إليها بلا شك!

مرت عدة أشهر قبل أن يطلقها "فارس"...أصبح كمن تم إنتزاع روحه منه.. كل منهما كان يتعذب...ولكن لن يرجع أي شَيْء كما كان... بعد ذلك طلبت "صابرين" من عمّها أن تبتعد...ستسكن في مكانٍ آخرَ مكان بعيد عن "فارس".... لم يكن أمام عمها سوى أن يوافق...فقد دمّر حياتها مسبقا بتزويجها من "فارس"! وهو لا يستطيع تدميرها مرةً أخرى!

لقد مرّت سنتان...

تغير كل شَيْء...لم يبقى شَيْء كما كان ، ولكن ليس للأحسن بل للأسوأ... كم تألم "فارس" بعدها! ، كم ظل وحيدا في غرفته لا يأكل ولا يشرب يتمنى فقط أن يراها، يعيش فقط على صورتها المحفورة في ذهنه...

لم تصله مكالمة واحدة منها... في النهاية...قرر الإستسلام لمصيره فهو لا يستطيع أن يستعيدها إليه مرةً أخرى، ولكنه في نفس الوقت...
لا يستطيع أن ينساها ولو لثانية! لقد تزوج "فارس" ب"نسمة"...
فقد أراد أن يعاقب نفسه على فعلته أكثر من أن يصلحها... فمهما حدث لا يستطيع أن يتركها بعد ما حدث بينهما... وبعد مرور هاتين السنتين...لا يستطيع "فارس" أن ينساها ، هو لم ينساها ولو دقيقة!
يتذكر أخر لقاء بينهما!
لقد كان قبل أن تذهب...يتذكر كَمْ توسلته أن يبتعد عنها...أن لا يسال عنها...أن لا يأتي للقائها! ، يتذكر كَمْ داسَ على قلبه ووافق على طلبها...
فها هو الآن لم يرها منذ ما يقارب السنتين... لم يذهب إلى الجامعة...حَتَّى لا يقابلها ويحنث بوعده وها هو الآن يجلس على مكتبه وبيده قلم وورقة..
قرر "فارس" أن يكتب ل"صابرين" رسالة.. فهو يعلم أنه لن يرسلها لها ولكن يريد كتابتها رغم كل شَيْء أمسك القلم وبدأ بالكتابة:
"حبيبتي "صابرين" كيف أنت؟ لقد إشتقت إليك... لقد مرت سنتان لم أرك فيهما! .. ألم تشتاقي إلى نصفِ إشتياقي إليك، كيف أصبحتِ بعدي يا "صابرين" أما زالت ضحكتك كما هي؟ أم إختفت مثلي، أيدق قلبك لأحد غيري أم قد دفن في التراب مثل قلبي؟ يقولون الحب أعمى... الآن أنا أصدق هذه العبارة! فكم كنتِ عمياء يا "صابرين" حَتَّى تحبي شخصًا مثلي! ألم ترِي كم أنا أناني ولا أفكر سوى بنفسي!؟

لقد أصبحتُ أكره نفسي بشده يا "صابرين"... فلولا سيّئاتي التي لا تغتفر لكنتي معي الآن! .. لاستيقظتُ في الصباح على وجهك وغفوتُ في المساء في أحضانك... كنت سأحضر لكي الورود كل يوم قبل أن أذهب للعمل... لتتذكريني بها حَتَّى أعود! ... ولكن كل هذا لم يحدث... فأنتِ في مكان آخر الآن وقد حرمتني من أن أذهب إلى ذلك المكان... كم أنتي قاسية يا "صابرين"! ألا تعلمين كم أحبك كم هو مميت ألّا أراكِ كل يوم! .. أنا أنتظرك... سأظلّ أنتظرك إلى أن أموت! لا أستطيع أن أطلب منك العوده... فلا يحق لي ذلك ولكن قلبي يتوسلك أن تعودي

لا أعلم إن كانت رسالتي ستصلك أم لا... ربما سأضعها في درج مكتبي لتبقي مع مئات الرسائل الأخرى التي قد كتبتها لك... ولكن إن وصلتك هذه الرسالة في يوم من الأيام فإعلمي يا حبيبتي... أني احبّك حدّ الجنون !

"صابرين" أكملت سنوات دراستها المتبقية في عزلةٍ تامةٍ؛ فكانت تذاكر دون أن تحضر محاضراتها وتذهب للإمتحان فقط ... حتى تخرجت وعملت بشركة كبرى وكانت تصرّ على أن تثبت كفاءتها بالعمل... فكانت تتقدم أكثر وأكثر حتى نالت إعجاب زملائها ومديريها وخاصة بطباعها الهادئة وروحها المساعدة للجميع.

في هذه الأثناء... تقدم لها كل قريب وغريب طالبْ يدها للزواج... ولٰكِنَّها كانت ترفض على أمل في نفسها ولكن لاتعلم ماهو حقًّا!

هل هو حبّها الذي كان لفارسها؟ أم أمل قادم آتي من بعيد!؟

في هذه الأثناء... أتى لها زميلها القديم "هيثم" الذي كان يحبها... جاء يسأل عنها ويرى كيف تسير أحوالها فمنذ يوم ظهور النتيجة لم يعلم عنها شيئًا لأنها ترفض أن تحادث أحد عبر الهاتف... فذهب إلى بيت عمها الذي يقطن به "فارس" وزوجته "نسمة" وتفاجأ "فارس" بحضوره إليه على غير العادة...

"ازيك يا"فارس" أخبارك ايه؟".

"فارس" يأخذ "هيثم" في حضنه وفى قرارة نفسه يفكر لماذا جاء إلى هنا دون سابق إنذار بمجيئه؟".

- "واحشني ياجدع... انت فينك من زمان؟ وبطلت تكلمني ليك فترة كبيرة".

"هيثم": - والله كنت مشغول يا"فارس" في شركتى الجديدة...
أصلِي أسست شركة جديدة للاستراد والتصدير... هو اللي ماشي اليومين دول... صدر أي حاجة واستورد كل حاجة".
- "والله برافو عليك.. انت و"صابرين" اللى فلحتوا في الشلة".
- "بالمناسبة أخبار"صابرين" إيه؟ بتشوفها يا"فارس"؟
- "لأ أبدًا... من يوم ماإتطلقنا وأنا مش بشوفها خالص... بس متابع أخبارها أول بأول لأنها بنت عمي ومن دمي وبخاف عليها جدًّا وخصوصا أنها معندهاش خبرات في التعامل مع العالم الخارجي...أنت عارف أني أنا كنت عالمها الأول والأخير ...بس ياخسارة معرفتش أحافظ عليها!".
- "إنسى يا"فارس" "صابرين" بكرة تتجوز زيك وربنا يصلح حالها ويبقى ليها أسرة تعوضها عن اللي فات -إن شاء الله-".
- "وقتها أنا هتطمن عليها يا"هيثم" بس هي توافق على حد من اللي بيتقدمولها".
- "ياه يا"فارس" أد كدة إنت بتخاف عليها؟ ده إنت إتغيرت أوي يا جدع".
- "الدنيا بتعلّم ياصاحبي وأنا إتغيرت وبعاقب نفسي وربنا كمان بيعاقبني وياريت أقدر أرجّع اللي فات... مكنتش غلطت الغلطة اللي أنا فيها دِلْوَقْتِي وكنت حافظت على "صابرين" وكان زماننا خلفنا عيل دِلْوَقْتِي يملى عليّ حياتي بدل الرتابة اللي أنا فيها دي... إنت مش متخيل يا"هيثم" أيامي بتعدي إزّايْ؟ لولا شغل (بابا) اللي أنا بديره... مكنش هيبقى ليا لازمة في الحياة.

وخصوصا إني مكملتش دراستي زيك أنت و"صابرين"... يعني العقاب جامد أوي ياصاحبي!".

"فارس" بعد أن إنفصل هو و"صابرين"... ترك القاهرة عائدًا إلى بلده وتزوج العقاب حتى يربي نفسه من جديد. تزوّج "نسمة" التي كانت سبب في ترك "صابرين" له ورفض أن يكمل الجامعة ولايعود للقاهرة التي بها ذكرياته مرةً أخرى... وأيضًا "نسمة" لم تكمل دراستها ولا كانت تبالي أي شيء غير أنها تتزوج "فارس" وتسهر كل يوم حتى الصباح، برغم أنهم يعيشون في محافظة إلا أنها كانت تختلق الأعذار حتى تخرج ولا يعلم "فارس" عنها شيئًا... حتى بعد عودتها... فهو يعتبرها عقاب الله له في الدنيا!

- "قولى يا"فارس"؟أخبار"نسمة" إيه وعاملة معاك إيه بعد الجواز؟ إنتوا لكم اكتر من سنتين متجوزين معقولة مش مشتاقين لطفل؟".

- "مش عايز منها أطفال... حرام ييجي طفل يشيل كل الكره اللي في قلبي لها... أنا عايز عقاب ربنا يلازمني لحد ما أموت!".

- "لا يا"فارس" متقولش كده يا جدع... الأيام مسيرها تداوي وتنسيك اللي حصل وعمومًا ده نصيب وقدر...الجواز رزق يا"فارس" والحب رزق برضو".

- "ما علينا ياصاحبي... المهم فرّحْنا إنت بيك ونشوف عيالك واهو برضو يبقى إستفادنا منك بحاجة كويسة".

يضحك "هيثم" ويقوله: "ماهو عشان كده أنا جيتلك ياصاحبي وطالب منك خدمة".

- "أؤمرنى ياخويا ده إنت عشرة عمري ياجدع قول عايز مني إيه وأنا عينيا".

- "بدون لَفّ ودوران... أنا جاي أطلب إيد "صابرين"!

"فارس" يقطّب حاجبيه وتتسع مقلة عينيه والصمت يخيم على المكان وكأن الصاعقة حَلَّتْ عليهما ثم يتكلم "هيثم": "إيه يابني مالك؟ أنا قولت حاجة غلط ولا إيه؟".

"فارس" تلعثم في الكلام ويرد بعد أن وقف ريقه في حلقه ثم بلعه بصعوبة قائلا: "لا ياصاحبي... ده حقك بس إشمعنى "صابرين" يعنى ماعندك البنات بالكوم في القاهرة... أنا عارف إنك كنت بتحبها".

ويقاطعه "هيثم": "وما زلت بحبّها ومفيش يوم نسيتها فيه... "صابرين" عملة نادرة يا "فارس" وخسارة أضيّعها من إيدى ياصاحبي ثم إني كده تبقى مش راحت لحد غريب وتبقى مطّمن عليها العمركله...إنت مش لسه كنت بتقول إنك عايزها تتجوز أي حد من اللي بيتقدمولها عشان تتطمن عليها؟ خلاص أنا أخوك وصاحبك وأولى بيها من الغريب".

- "أيوه ياصاحبى بس أنا مقدرش أوافق أو أرفض هي صاحبة الشأن ولازم تسألها بنفسك وأنا مقدرش أتدخل في الموضوع ده... راعي مشاعري يا أخي!".

- "عارف ياصاحبي... بس أنا جيتلك بصفتك إبن عمها مش بصفتك طليقها... يعنى المصلحة هنا هي الغالبة ولا إيه؟".

- "أيوه ياصاحبي... يبقى تستنى معايا نتغدى سوا و(بابا) يكون جه ويروح

معاك هو... لأني أنا ممنوع أشوف "صابرين" ولا حتى صدفة".

- ليه يا"فارس" ممنوع ليه؟

-للأسف دا قرار"صابرين" وبالتالى مش هفرض عليها نفسي".

- "إن شاء الله كل ده هيتحل... وسيب الأيام تداوي الجروح هى كفيلة بكده".

أتى "صفوت" والد "فارس" ورحب ب"هيثم" ترحيب حار ثم تناولوا الغداء وفتح "هيثم" الموضوع مرة أخرى أمام عم "صابرين":

- "عمي... أنا جاي أطلب إيد "صابرين" لو مفيش مايمنع كده".

- "إيه يابني اللي هيمنع إنت اخو "فارس" وصاحبه وإحنا عارفينك كويس وعارفين أخلاقك وإنت عندي أحسن من "فارس" نفسه".

"فارس" يصمت ولم يَنْبِسَ بكلمة!

- "ولا إيه يا"فارس"؟

- "طبعا يا(بابا)... بس يارب "صابرين" توافق!".

يقولها وفي قرارة نفسه يتمنى ألا توافق "صابرين"... فهل حقا توافق وتنسى حلم حياتها وحبها الأول والتي باتت تحلُم به إلى أن تحقّق، ولكن إستيقظت على كارثة الخيانة والطعن في كرامتها... هذا مايُحْدِّث به "فارس" نفسه.

في المساء... حدث "أبو فارس" "صابرين" عبر الهاتف فهي لم تحدّثْ أحدًا قط غير عمها و"أخت فارس" لتطمئنّ عليهما ويطمئنوا عليها.

- الووو: "أيوه يا عمي... إزيّ حضرتك؟".

- "الحمد لله يا"صابرين" يا بنتي عاملة إيه؟".

- "الحمد لله يا عمي".

- "طيب يا"صابرين" يا بنتي إنتي فاضية نيجي نقعد معاكي شوية".

- "طبعًا يا عمي... تنوّر ولو "سلوى" جت عندكم يا ريت تجيبها معاك؛ لإنها وحشاني أوي".

- "لا يا"صابرين"... أنا جاي معايا ضيوف نفسهم يشفوكي بس خليها مفاجأة!".

- "حاضر يا عمي اللي تشوفه حضرتك تنور وضيوفك كمان".

"سلوى" أخت "فارس" تزوّجت من عدة أسابيع لزميل "فارس" في العمل ولكن "صابرين" لم تحضر الفرح حتى لاترى "فارس" ولهذا كانت تريد أن ترى "سلوى" وتطمئن عليها.

دقائق ويرن جرس الباب وتفتح "صابرين"... وإذا بالواقف أمامها "هيثم" وعمها ولم تتمالك نفسها من المفاجأة فيمر في ذاكرتها شريط الماضي القريب عندما كانت ستصدمه السيارة مرتين وتجد "هيثم" منقذها في كل مرة... وعندما كان يعزمها على القهوة ويجهّز لها المحاضرات الفائتة لها وعندما إعترف لها بحبّه وصدمته بأنها تحبه مثل أخوها... كلّ هذا وهما ما زالوا أمام باب الشقة... ثم إستفاقت على صوت عمها: "إيه يا"صابرين" يا بنتي... مش هتقولي: إتفضلوا ولّا إيه؟".

- "إتفضل يا عمي... إتفضل يا"هيثم"... أهلا وسهلا طبعًا.. تشربوا إيه يا عمي... طبعًا يا"هيثم" لسه قهوتك مظبوطة؟".

"هيثم": - يا فرج الله... إنتي لسه فاكرة... طيب دا شيء يبشّر بالخير!".

تُقَطّب "صابرين" حاجبيها وتهز رأسها:

-"علام يتحدث "هيثم" وإيه اللي يبشر بالخير؟".

- حضرتك (يانسون) يا عمي... أنا عارفة لأن القهوة مش هتخليك تعرف تنام... وإنت يا"هيثم" قهوتك المظبوطة".

- "طبعًا زي ما قولتي يا"صابرين" ومقدرش أكسر لك كلمة".

وضحكوا جميعًا وتذهب "صابرين" تعُد (اليانسون والقهوة) وتحدث نفسها ماذا جاء به إلى هنا ولم يخطر ببالها قط إنه جاء ليطلب يدها.

أعدت "صابرين" (اليانسون والقهوة) ولم تنسى (كوب الماء) حسب ما تعلَّمت من والدتها -الله يرحمها- عندما كانت تعد القهوة لوالدها وكان دائمًا ينبه عليها لا تنسى الماء مع القهوة...

-"إتفضلوا آدي (القهوة واليانسون) ويارب أكون عرفت أعمل القهوة يا"هيثم".

يضحك "هيثم" بعد أن يتذوق رشفة منها ويقول: "هشربها لو كانت إيه".

ويضحك الجميع ضحكةً عاليةً... لأول مرة "هيثم" يرى "صابرين" تضحك هكذا منذ عرفها...

- "شوفى يا"صابرين" يا بنتي "هيثم" مش غريب عليكي... إنتوا كنتوا زملاء وأصدقاء وهو دِلْوَقْتِي فتح شركة إستيراد وتصدير وجاى يتقدم ويطلب إيدك... ها قولتي إيه؟".

"هيثم" ينظر لـ"صابرين" دون أن تدري و"صابرين" تنظر للأرض ووجهها أحمر من شدة الخجل ولم تنطق بحرف وأذهلتها المفاجأة الكبيرة...

فماذا تردّ؟ هل تقول أنها لم تعد تفكر في الزواج مرةً أخرى بعد حبها الكبير لـ"فارس" وكسر قلبها... أم تنتهز فرصة الحب القادم من بعيد وتحاول تستعيد ما تبقَّى منه وتنعشه بحب جديد يروي ظمأه ويحييه من جديد؟!

- "ها يا"صابرين" قولتي إيه يا بنتي موافقة نقرا الفاتحة ولا إيه؟".

- "بس يا عمي مش بالسرعة دي... أنا محتاجة فرصة أفكّر فيها".

"صابرين" تخشى من عمها أن يتعجّلها كما في السابق عندما خطبها لـ"فارس" وزوجهما في أسبوع وكانت النتيجة أنه غصب على "فارس" بالزواج منها ولم تحصد غير الأسى والحسرة وفي نفس الوقت هي تعلم حب "هيثم" لها منذ اللحظة الأولى التي أنقذها فيها عندما كانت السيارة ستصدمها...

- "لا خدي راحتك يا بنتي بس لو مفيش إعتراض على "هيثم" يبقى نقرا الفاتحة وتاخدي وقتك براحتك... وإنتوا تتفقوا على معاد الجواز... أنا مش هتدخل خالص...

- ها قولتي ايه؟".

"صابرين" تهزّ رأسها بالموافقة على أن تأخذ وقتها في التفكير... ويتم قراءة الفاتحة فيما بينهم ويبتسم "هيثم" وعينيه تلمعان من الفرح، ولا يكاد يصدق نفسه: - "هل "صابرين" أصبحت ملكي؟ تلك الجميلة الناعمة أصبحت ملكي أنا... سوف أجعلها تحبني كما أحبُّها وسوف أسعدها بكل ما

أملك من مشاعروأحاسيس وأموال... ولن أجعلها تشعر بالحزن الذي أراه في عينيها مرةً أخرى".

جلس عمّ "صابرين" في الشرفة يدخّن سيجار، وترك "صابرين" و"هيثم" يستعيدان ذكريات الجامعة... فمنذ آخر يوم في الإمتحان وظهور النتيجة لم يرها... حقا لقد تغيرتْ "صابرين"... بل أصبحت تهتم بنفسها وشعرها وهندامها أكثر من الماضي ولكن خجلها وبساطتها كما هي.

- "صابرين" أنا هخليكي أسعد إنسانة في الدنيا وهعوّضك عن أي لحظة حزن شفتيها فِحياتك!".

تهزّ "صابرين" رأسها وتبتسم خجلًا وتردّ: "إن شاء الله، اللي ربنا عايزه هيكون".

عَمّ "صابرين": "ها يا ولاد إتفقتوا على كلّ حاجة خلاص؟ يالّا بقا يا عريس عشان العروسة عندها شغل... مش عايزين نسهّرها أكتر من كده".

ويضحكوا جميعا ويستأذن "هيثم" على وعد أن يحادثها بالتليفون ولم تعترض "صابرين"... فقد أصبح خطيبها. ودعتهم حتى باب الشقة وأغلقت وراءهم وذهبت إلى غرفتها ونظرت نظرتها للسقف كالعادة عندما يكون هناك مايشغل بالها... هل حقًّا أنا وافقت على خوض تجربة أخرى؟...هل حقًّا "هيثم" كان هنا أم أني أحلم؟...

"صفوت" ذهب إلى البيت بعد أن ودع "هيثم" ورحل بسيارته عائدًا إلى (القاهرة)، كان "فارس" في إنتظاره على أَحَرّ من الجمر وكأنّ لسان حاله يقول: - "صابرين" لم توافق على الزواج من "هيثم"!!

"ها يا(بابا) إيه الأخبار؟ يا رب "صابرين" يكون ربنا هداها ووافقت على "هيثم".

- "مممممم... مش عارف أقولك إيه يابني والله!".

تَنْفَرِج أسارير "فارس" ويبتسم إبتسامة خبيثة كالماضي ويقول: "أنا والله يا(بابا) مكنتش عايز "هيثم" يُحرج كدا ويرُوح لها... أنا عارف "صابرين".. وإلا كان زمانها إتجوزت من زمان!".

- "والله يابني فعلًا كل شيء نصيب...كلّ يوم بيتقدملها واحد شكل وهي مُصِرّة عالرفض... لكن النصيب لما بييجي بيبقى زيّ القَدَر متقدرش تقوله لأ!".

"فارس" يُقَطّب حاجبيه:

-"مش فاهم حضرتك تقصد إيه؟...هل رفضت "هيثم" ولا وافقت عليه؟".

- "بقولك النصيب لما بييجي بيبقى زيّ القَدَر..تقولّي: وافقت ولا رفضت؟ وافقت طبعًا، وأنا سبتهم هما اللي يحدِّدوا معاد الجواز، أنا اصلي مش هستعجلها تاني في أي قرار هيَّ عايزاه... "صابرين" مبقتش البنت الصغيرة... دي (ست البنات) وعقلها يوزن بالدهب وفعلًا راحت للي يستاهلها بجد!".

- "صَحّ يا(بابا) عندك حق...مِن أول يوم "هيثم" شافها فيه وهو بيقَدّرها ويحترمها وكمان حبّها وهو ميعرفش إنّها مراتي، أقصد اللي كانت مراتي...

فعلًا (كل إناء ينضح بما فيه) وهما الإتنين ملائمين لبعض..."هيثم" الجدعنة كلها والحب و"صابرين" الحنان اللي مشوفتوش غير من أمي -الله يرحمها- هي كانت أدّ إيه بتحب "صابرين" وبتعتبرها بنتها، و"صابرين" كانت بتحبها جدًّا وبتعتبرها أمّها... بس هنعمل إيه بقا هيَّ دي سنة الحياة!".

- "مش كل حاجة بنتمناها يابني بناخدها من الدنيا... أكيد ربنا عنده الخير والعوض!".

"هانم" والدة "فارس" توفيت فجأة دون سابقة مرض منذ عام تقريبا ولاأحد يعلم ماذا حدث لها....

"فارس" صعد إلى غرفته يتأمّل سقف الغرفة أيضًا ويفكّر في "صابرين" كيف لها أن توافق على الزواج؟! ثم أجاب على نفسه: "ولِمَ لا هل ستظل راهبة في محراب حبي إلى الأبد أم ماذا يا"فارس"؟ فهي لم ترى مني سوى كسر قلبها فليسعدها الله هي و"هيثم"!

وفجأة نظر في الساعة فوجدها تخطت الواحدة بعد منتصف الليل وزوجته المصونة لم تَعُدْ من السهرة التي ذهبت إليها ولسان حاله يقول: "ليتها لم تعد إلى هذا البيت مرةً أخرى".

تمرّ الأيام و"صابرين" و"هيثم" يتقابلوا ويتحدثوا عبر الهاتف وكل يوم يتعلقا بعضهما البعض حتى جاء اليوم الذي تم فيه تحديد موعد الزواج فقد جهّز "هيثم" شقّة الزوجية في القاهرة بجوار محل عمله واتّفق مع "صابرين" أن تترك عملها وتدير جميع أعماله بالشركة ويتفرّغ هو للسفر للخارج لعقد

الصفقات هناك، ووافقت "صابرين" وتم تحديد يوم العرس وكلٌّ يجري على قدمٍ وساق

في اليوم التالى..

"صابرين" في الكوافير هيَّ و"سلوى" بنت عمها والأنوار تتلألأ في منزل عمها ثم يأتى العريس يصطحبها من الكوافير...فيراها (أجمل بنت في الدنيا) بالفستان الأبيض المرصع باللؤلؤ والطرحة الطويلة والتي تُمسك بأطرافها بنت عمها ويقبّلها "هيثم" من جبينها.. ويمسك بيدها.. ويفتح لها باب السيارة حتى تركب بجواره.. وتركب معها "سلوى" ذاهبين إلى مكان العرس في بيت عمها...

في هذه الأثناء يأتي تليفون ل"فارس" على غير العادة..

الووو: "فارس" إلحقني أنا بموت.. عايزه أشوفك قبل ما أموت!".

ياللهول... ماهذا إنّها "نسمة" زوجة "فارس" ماذا حدث لها؟!

- "نسمة" مالِك؟؟ فيكي إيه؟ انتي فين؟ ردّي عليا...

ويردّ شخص آخر: "أيوه ياأستاذ "فارس" المدام عملت حادثة بالعربية؛ وهيَّ موجودة دِلْوَقْتِي في المستشفى.. هات ورقة وقلم واكتب العنوان".

"فارس" لم يدري بنفسه هل يفرح أم يحزن أم ماذا يفعل؟؟ يجري بسرعة إلى المستشفى ليرى "نسمة" غارقة في دمائها؛ فيمد يده ليمسك بها وإذا هي تقول له: "فارس" سامحني؛ أنا غلطت فحقك كتير، وكمان غلطت فحق طنط "هانم"!!

- "(ماما)؟"...

- "متقاطعنيش يا"فارس" مفيش وقت.. أنا هقولك على كل حاجة: "في يوم كنت مسافر إنت وعمي، وطنط "هانم" و"سلوى" نزلوا يشتروا حاجات لجهاز "سلوى" وأنا كنت مواعده صديق لِيًّا وإنتهزت فرصة عدم وجودهم وجيبته البيت، وطنط "هانم" رجعت فجأة بعد ما "سلوى" غيّرت رأيها وراحت هيَّ وصاحبتها يشتروا الطلبات.. وشافتني أنا وصديقى في وضع مش مظبوط.. وهددتنى إنها تفضحنى وتقولك إنت وعمي.. مكنش أُدَّامي غير إني أخلص منها أنا وصديقي وبسرعة.. إشترينا تعبان سام جدا.. وحطّناه في سريرها وهيَّ نايمة وصبحت الصبح ميتة والكل إفتكر إنها ماتت طبيعي...سامحني يا"فارس"!!

"فارس" يصرخ بأعلى صوته: "إنتي إيه ياشيخة شيطانة!! ربنا يخلّصنا منك بقا دمرتي حياتنا وحرمتيني من أمي.. حسبي الله ونعم الوكيل فيكي!!

وفجأة... يصمت جهاز التنفس الصناعي.. لتصعد روح "نسمة" إلى بارئها ويبكي "فارس" بحرقة! ليس على "نسمة" بل على روح أمه الطاهرة، وكأنها ماتت الآن.."سامحينى ياأمي... أنا اللي جبت المصيبة دي البيت. يارب كفاية بقا إنتقام مني أنا حياتي ضاعت منّي وأمي راحت مني و"صابرين" هتتجوز إِنَّهارْدَه!"... صابريين!!وفجأة يطير إلى البيت ليلحق ب"صابرين" قبل أن تعقد القِران؛ لعله يكون هناك أمل في إسترجاعها!

يدخل العُرس، وأصدقاء "هيثم" يرفعونه لأعلى... بعد أن تَمّ عقد القران والزغاريد تملأ المكان و"سلوى" فرحة ب"صابرين" وتبارك لها، ويقف "فارس" من بعيد ينظر إليها في نَدَم وحسرة على ما جَنَتْهُ يداه!!

ويودّع العروسان المدعوين... وتقبل "صابرين" "سلوى" وعمها، على وعد بإنتظار زيارتهما في القاهرة... ثم ينطلقا بالسيارة ويُدير "هيثم" المذياع على صوت أغنية شادية.. (على عش الحب طير ياحمام على عش الحب).

النهاية ...

رسالتنا في المكتبة العربية للنشر والتوزيع:

- نشر كل إنتاج إبداعي ذو جودة عالية وأفكار أصيلة تعبر عن هويتنا العربية وتاريخنا العريق، تحترم قيم مجتمعنا ومعتقداته، لا تساعد في نشر العنف أو العنصرية، ترسّخ لمبدأ المساواة والحرية والعدالة. والسعى نحو الارتقاء بالأدب العربي في كافة مجالاته، والوصول به نحو العالمية.

لمراسلتنا بشأن نشر الأعمال الأدبية

arabiclibrary2017@gmail.com

صفحتنا على موقع الفيسبوك

facebook.com/arabiclibrary2017